

سلسلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار المعارف

[٧٠٢]

رئيس التحرير

إسماعيل منتصر

نائب رئيس التحرير

حمدى عباس

مدير التحرير

كريمة متولى

مدير فنى

شريفة أبو سيف

تصميم الغلاف

الفنان شريف رضا

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

هاتف: ٥٧٧٧٠٧٧ – فاكس: ٥٧٤٤٩٩٩-- E-mail: maaref@idsc.net.eg

د. حامد الشافعي دياب

مكتبة المسجد الأقصى
ماضيها وحاضرها



دار المعارف



إن الذين عنوا بإنشاء هذه السلسلة ونشرها ، لم يفكروا إلا فى شىء واحد ، هو نشر الثقافة من حيث هى ثقافة ، لا يريدون إلا أن يقرأ أبناء الشعوب العربية . وأن ينتفعوا ، وأن تدعوهم هذه القراءة إلى الاستزادة من الثقافة ، والطموح إلى حياة عقلية أرقى وأخصب من الحياة العقلية التى نحياها .

طه حسين



دار المعارف بمصر

العدد الأول من سلسلة اقرأ الشهرية صدر عام ١٩٤٣

مقدمة

كان دائمـا لمدينة القدس مكانة فريدة تتميز بها عن مدن الأرض، فهى المدينة التى تستأثر بتقديس نحو ثلثى سكان المعمورة من أتباع الديانة السماوية، وهى الأرض التى بارك الله تعالى حولها، وقد أشار القرآن الكريم إليها فى أكثر من آية، وذكر مسجدها الأقصى الذى أسرى إليه برسول الله ﷺ، ومنه كان معراجه ﷺ إلى السماوات العلا، قال تعالى فى أول سورة الإسراء ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾، كذلك أكدت الأحاديث النبوية على مكانة القدس فى الإسلام، فجاء فى الحديث الشريف «لا تشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى» والأقصى الشريف هو أولى القبلتين وثالث الحرمين، ومن هنا استمدت المدينة قدسيتها ومكانتها الدينية والحضارية.

بيد أنه من قدر مدينة القدس أن تكون فى معظم حقب تاريخها ميدانًا للنزاعات والحروب والصراعات، فأصبح تاريخها شديد التعقيد كثير التداخل، ولا غرابة فى ذلك فموقعها الاستراتيجى ومكانتها الدينية جعلها مطمعًا لكثير من الأمم منذ العصور القديمة حتى عصرنا الحالى، فقد تداعت عليها الأمم من كل صوب وحدب منذ أسسها

الكنعانيون فى نحو الألف الثالث قبل الميلاد حتى اغتصبتها إسرائيل عنوة عام ١٩٦٧.

وفى أيامنا هذه تواجه مدينة القدس معركة حضارية من أضخم ما عرفت فى أى وقت من تاريخها، ألا وهى التصفية الحضارية والتفريغ الثقافى وعمليات التهويد، فلقد عمل الاحتلال الصهيونى -ولايزال يعمل بكل صفاقة- على محو الحضارة العربية الإسلامية وطمس معالمها فى مدينة القدس.

ومع هذه الهجمة الصهيونية الشرسة على القدس زهرة المدائن، ومدينة السلام، ومهبط الإسراء، وموضع المعراج، وثالث الحرمين الشريفين وأولى القبلتين، ألا تستحق منا العمل الدءوب فى سبيلها بالدراسة والبحث، من أجل رد الظلم عنها، وإحقاق الحق لها، وبيان دورها فى بناء الحضارة الإنسانية.

ومناحى الدراسة فى مجال الحضارة العلمية والفكرية فى القدس كثيرة ومتشعبة الجوانب، ومتعددة المرامى، وبحكم التخصص، فقد وقع الاختيار على موضوع «مكتبة المسجد الأقصى الشريف» لدراسته باستفاضة واستجلاء جوانبه وبيان دور هذه المكتبة فى بناء النهضة العلمية والحضارة الإنسانية، باعتبارها مؤسسة من المؤسسات الثقافية المهمة فى القدس على مر العصور، كل ذلك بقدر ما تسمح به المصادر وما تتوصل إليه الاستنتاجات.

أهمية الدراسة:

إن التأريخ لنشـأة المكتبات الإسلامية ودراسـة أوضاعها هو تأريخ للفكر الإسلامى والحضارة الإنسانية طوال الحقب التاريخية المختلفة، حيث قامت هذه المكتبات بدور رئيسى فى بناء هذه الحضارة.

لقـد قامت هذه المكتبات فى بلاد العالم الإسـلامى -ومنها القدس- بنشر الثقافة والعلوم الإسلامية، وبناء المجتمع العلمى فى هذه البلاد، وتوحيد الصـلات العلمية بين أفراد هذا المجتمع مـن ناحية، وبينهم وبين شعوب الغرب من ناحية أخرى، حيث امتدت إشعاعات المكتبات الإسـلامية لتبـدد دياجير الجهل الـذى ران على عقـول أهل الغرب وقلوبهم أزمانًا طويلة، وخاصة فى العصور الوسـطى، مما كان له أكبر الأثر فى بناء الحضارة الغربية التى ينعم بها العالم الغربى اليوم.

وهذا الدور المشـرف للمكتبات الإسـلامية لا ينكره إلا أعداء الأمة العربية الإسلامية وعلى رأسـهم الصهيوينة والإمبريالية العالمية ومن يسـيرون فى ركابهم، لقد أصبحت الغزوة العدوانية التى تتعرض لها أمتنا العربية والإسلامية لا تشمل حاضرها وحده، ولا تـهدد مستقبلها فحسـب، بل هى بالدرجة الأولى تتناول ماضيها، بهدف تشويه هذا الماضـى والفصل بين الجيـل الحاضر وتراثه الفكـرى والعلمى وماضيه الزاهـى التليد، لكى تقتلعه من جذوره، لأن غزاة الفكر - أعداء الأمة العربية الإسلامية - يعرفون أن أمة بلا ماضى هى أمة بلا مستقبل.

وهنا يجب التأكيد على أن العودة لدراسة التراث الفكرى والعلمى للأمة العربية الإسلامية لا تعنى رفض التجديد والوقوف عند التغنى بأمجاد الماضى، بل العكس هو الصحيح، فكل حركة بعث أو تجديد حقيقية تبدأ بالعودة لهذا التراث لتستلهم قيمه وتستخرج جوهره، ومن ثّم يمكن القول بأن كل فكر قادر على التغيير هو فكر يبدأ بقراءة معاصرة للتراث، فدراسة التراث هى دراسة للماضى لبناء الحاضر واستشرافًا للمستقبل، وعلى هذا فيجب علينا الاهتمام بدراسة تراثنا المكتبى وتأصيله، كى نعرف ماضينا ومن خلاله نهتدى لمستقبلنا.

إن أعداء الأمة العربية الإسلامية يدركون جيدًا أهمية ذلك التراث ويدركون أيضًا أنه لا يمكن أن توجد أمه بلا تاريخ وبلا تراث، وأنه لامستقبل لمن لا ماضى له، فالصهيونية تفتعل تاريخًا مزيفًا ليس له أى دليل عقلى أو واقعى، لتشويه تراث بقعة غالية على نفوسنا ألا وهى مدينة القدس. ومن ثّم تبرز قيمة مكتبة المسجد الأقصى التى تقتنى تراثًا عريقًا، ولكنه مهدد بالضياع نتيجة التحدى الذى يواجه هذه الأمة فى هذه البقعة الحساسة من الوطن العربى، وهذا التراث التليد فى حاجة إلى من يحافظ عليه ويعتنى به من أفراد ومؤسسات.

من هذا المنطلق تبرز أهمية دراسة موضوع «مكتبة المسجد الأقصى» للتعرف إلى تاريخها ونشأتها وتطورها وإلقاء الضوء على حاضرها، باعتبارها دعامة من دعامات الحضارة العربية الإسلامية فى جانبها

المعرفى، ومنبرًا من منابر التنوير الثقافى، ومصدرًا لنشر العلوم والمعارف، ودراسة هذه المكتبة تعنى فى تراثنا الشىء الكبير، وتعنى فى حضارتنا الشموخ، وتعنى فى واقعنا الامتداد والأصالة.

فالمكتبات لدى أية أمة، تعتبر مرآة تحاول أن تنظر من خلالها لترى حقيقتها الثقافية والعلمية، والمتتبع لسيرة تاريخ الحضارة العربية الإسلامية لا يجد مفرًا من التسليم بقضية جوهرية، ألا وهى أن ازدهار هذه الحضارة قد واكبتها ودعمتها مكتبات أجيد بناؤها فنيًا وإداريًا، وأعدت مقتنياتها للبحث والتنقيب العلمى.

ولا أريد الاسترسال فى بيان أهمية هذه الدراسة، بل تكفى الإشارة إلى أن الدراسات والأبحاث فى تاريخ المكتبات المقدسية قليلة العدد والعدة، وتكاد تكون نادرة، بل لا نغالى إذا قلنا إن كثيرًا من الباحثين والدارسين يتجنبون مشقة البحث فى هذه الموضوعات والتصدى لدراستها، ليس فقط لصعوبتها بل أيضًا لقلة مصادرها وتبعثر معلوماتها.

هدف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة فيما تهدف إلى الكشف عن جانب من جوانب إشراقات الماضى وامتداد الحاضر، ألا وهى «مكتبة المسجد الأقصى المبارك». وعلى ذلك يمكن بلورة مجموعة الأهداف التفصيلية على النحو التالى:

١ - التعرف إلى نشأة المكتبات وانتشارها من خلال ما تنبىء به دراسة الحياة العلمية والثقافية فى القدس.

٢ - التعرف إلى نشأة مكتبة المسجد الأقصى وتطورها خلال العصور المختلفة.

٣ - بيان الوضع الراهن لمكتبة المسجد الأقصى من حيث: الموقع - المجموعات - التنظيم - العاملين ومؤهلاتهم - الخدمات التى تقدمها المكتبة - المعوقات والمشكلات التى تعانى منها المكتبة.

٤ - اقتراح بعض الحلول المفيدة لمعالجة المشكلات التى تقاسى منها المكتبة، على هيئة مجموعة من التوصيات.

منهج الدراسة:

لدراسة هذا الموضوع، اعتمد الباحث على عدة أساليب منهجية تتناسب مع القضية أو العنصر المدروس منها:

- المنهج التاريخى الذى يستند إلى استرداد الماضى لفحص أحداثه تبعًا لما تركه من آثار فكرية للاعتماد عليها فى تكوين حقائق جديدة، وقد تم استخدامه فى دراسة النشأة التاريخية للمكتبات المسجدية بما فيها مكتبة المسجد الأقصى فى جانبها التاريخى.
- منهج دراسة الحالة الذى يتميز بالتعمق أكثر مما يتميز بالشمول أو اتساع المجال، ويعد هذا المنهج منهجًا تحليليًا واستكشافيًا للعوامل المتشابكة ذات الأثر فى كيان المكتبة ومقوماتها المختلفة، وقد تم استخدامه فى دراسة الوضع الراهن لمكتبة المسجد الأقصى.
- الزيارات الميدانية: حيث تمت زيارة مكتبة المسجد الأقصى ورؤيتها على الطبيعة ومقابلة المسئولين عنها.

- قائمة المراجعة: وتحتوى على (٤٦) سؤالاً تحيط بكل عناصر ومقومات المكتبة، تم استيفاؤها من خلال مقابلة المسئولين عن المكتبة. وتوجد منها نسخة فى آخر هذه الدراسة.
- الملاحظة: حيث لاحظ الباحث المجموعات على الرفوف.
- هذا فضلاً عن التقارير والمطبوعات عن المكتبة.

وقد حاول الباحث - جهد الطاقة - التقصى المنظم للحقائق العلمية والتاريخية المرتبطة بالموضوع، لاستنباط ما قد يعن من معلومات وأفكار تخدم أهداف الدراسة وتحقق أغراضها.

نطاق الدراسة وحدودها:

تمتد هذه الدراسة لتغطى مكتبة المسجد الأقصى وكل ما يتعلق بها، ابتداء من تاريخها ونشأتها وتطورها عبر العصور وحتى وضعها الراهن وكل مكوناتها المادية والبشرية، وقد اقتضى الأمر للتعرف إلى هذه النواحى، توسيع نطاق الدراسة لتشمل التأريخ لظهور ونشأة المكتبات فى القدس مع التركيز على مكتبات المساجد باعتبار أن مكتبة المسجد الأقصى - مجال الاهتمام فى هذه الدراسة - تمثل مرفقًا رئيسيًا للمعلومات فى منظومة المكتبات المقدسية.

وتغطى الدراسة من الناحية المكانية مدينة القدس بحدودها الجغرافية والسياسية المعروفة، أما من الناحية الزمنية فتمتد منذ الفتح الإسلامى للقدس سنة (١٧) هجرية وحتى الآن وهى فترة مليئة

بالمتغيرات السياسـية والثقافية والعلمية التى انعكسـت بدورها على حركة المكتبات فى القدس وخاصة مكتبة المسجد الأقصى المبارك.

وحـاول الباحث - فـى نطاق الحدود السـابقة - تقديم أكمل صورة ممكنة للمكتبات المقدسـية بصفة عامة ومكتبة المسـجد الأقصى بصفة خاصة، ولا أدعى الكمال لهذه الدراسة، أو أن البحث قد جمع فأوعى، ولكنها محاولة متواضعة وجهد المقل فى هذه الصدد، فما كل ما يتمنى المرء يدركه، فقد عجزت مصادر الدراسـة فى بعض الأحيان عن تحقيق مثل هذا الكمال المنشود.

المصادر والدراسات السابقة:

من بين المشـكلات التى تعوق الباحث، فى دراسـة تاريخ المكتبات فى العصور المختلفة، ندرة المصادر وقلة المراجع التى تمكنه من كشـف النقـاب عن هذا التأريخ، والوقوف على الأوضاع العلمية والفكرية التى كانت سائدة وقتئذ.

وهذا الأمر - فى تقديرى - هو الذى يفسر إحجام كثير من الباحثين عن الخوض فى دراسة مثل هذه الموضوعات، بيد أن هذا الوضع لا يحل المُشكل بقدر تحديثه واقتحامه بحثًا ودراسة وتنقيبًا.

وكان على الباحـث ليقتحم هذه العقبة، قـراءة ومراجعة كم هائل من الكتب التراثية التى تمثل مصادر أولية أصلية لاستخراج المعلومات من بطونها التى تفيد الدراسـة وتشـبع عناصرها بالمعلومات، وتحسن

الإشـارة إلى نمـاذج منها مثل: مثير الغرام إلى زيارة القدس والشـام لابن سـرور المقدسـى، والأنس الجليل بتاريخ القـدس والخليل لمجير الدين الحنبلى، والفتح القسـى فى الفتح القدسـى للعماد الاصفهانى، وغيرهـا كثير، كذلك تم الرجوع إلى أبحاث المؤتمر الثالث لتاريخ بلاد الشـام (١٩٨٠) وخاصة المجلد الثالث وهو عن القدس، يضاف إلى ذلك مؤلفـات ابن القدس المرحوم كامل العسـلى وخاصة مؤلفه القيم «معاهد العلم فى بيت المقدس» وتحسن الإشارة فى هذا المقام إلى أنه تم الرجوع إلى الكتاب القيم للدكتور يوسف العش الموسوم بـ «دور الكتب العربية العامة وشبه العامة لبلاد العراق والشام ومصر فى العصر الوسيط».

والمعلومات التى تذكرها هذه المصادر - أو غيرها مما يماثلها - تتميز بعموميتها وتتسـم بندرتهـا، فضلا عن أنها غير مباشـرة أو كاملة أو حتى وافية عن حركة الكتب والمكتبات فى القدس، ومع هذا فقد استفاد الباحث من هذه المصادر فى بحثه هذا وأشار إلى ذلك فى حينه.

وممـا تجدر الإشـارة إليه فى هذا المقام أن الباحـث قد عثر - أثناء فحصـه المصادر المختلفـة - على بعـض الوثائق التى تتعلـق بالكتب والمكتبات فى القدس منها وثيقة عن وظيفة أمين مكتبة المسجد الأقصى، وقد استفاد منها الباحث وحللها وعلق عليها.

والعقبة الأخرى الكأداء التى واجهت الباحث - فى دراسة موضوعه - هـى كيفية الوصول إلى موقع المكتبة مجال الدراسـة الميدانية، أقصد

مكتبة المسجد الأقصى المبارك، في ظل الظروف السياسية القاسية التى تعيشها مدن فلسطين بصفة عامة، ومدينة القدس بصفة خاصة، ولكن بفضل الله وحده، تم اقتحام هذه العقبة أيضًا، حيث أتيح للباحث فرصة ذهبية - أثناء عمله بكلية التربية الحكومية بقطاع غزة كأستاذ زائر فى الفترة من أكتوبر/ ديسمبر ١٩٩٨ - زيارة مدينة القدس والصلاة فى المسجد الأقصى والوصول إلى مكتبته العامرة، وكان ذلك بتاريخ ٢٩/ ١٢/ ١٩٩٩. وكأن الطريق كان ممهدًا للحصول على ما تيسر من معلومات ميدانية عن مكتبة المسجد الأقصى، من خلال المقابلات الشخصية التى تمت مع السيد مدير المكتبة ونائبه، والحصول على معلومات منشورة عنها مثل فهارس مخطوطات مكتبة المسجد الأقصى، فضلاً عن الاطلاع على نشرات وتقارير غير منشورة عن المكتبة وهى محفوظة فى ((أرشيف)) المكتبة لدى السيد مديرها.

والحق يقال فقد قدم لى السيد مدير المكتبة - الأستاذ خضر إبراهيم سلامة - مشكورًا كل المساعدة فى توفير المعلومات اللازمة للبحث، وكذلك فعل السيد/ توفيق أحمد الشيخ نائب مدير المكتبة، فقد أتاحا لى الإطلاع على السجلات والمراسلات والمكاتبات الداخلية والخارجية للمكتبة، وتقديم المعلومات الشفهية من خلال المقابلات معهما وقدما الإجابة عن أسئلة قائمة المراجعة، وكل ذلك سجلته فى متن البحث وهوامشه.

أما عن الدراسات السابقة فى الموضوع، فبعد البحث والفحص والتقصى لم يعثر الباحث على دراسة مباشرة لموضوعه، والأعمال التى حصل عليها القريبة منها والماثلة لها قليلة العدد، وهى فى مجموعها لا تزيد عن أصابع اليد الواحدة، أسجلها هنا للأمانة العلمية، ولبيان موقع البحث الحالى منها، على النحو التالى:

١ - على السيد على: مكتبات القدس فى عصر سلاطين المماليك، دراسة نشرت فى مجلة المكتبات والمعلومات العربية، السنة الرابعة، العدد الرابع (أكتوبر ١٩٨٤) وشغلت الصفحات (٥ - ٢٤)، والدراسة عبارة عن سرد لعصر المماليك فى القدس معتمدًا فى ذلك على المصادر التاريخية - بحكم تخصصه، وأشار إلى خزانة الكتب فى المسجد الأقصى فى صفحة واحدة (صفحة ٩).

٢ - فيرا كوسا وفاليرى روك: مكتبات الأديرة فى منطقتى القدس وبيت لحم: دراسة حالة، دراسة نشرت فى مجلة «رسالة المكتبة» المجلد التاسع والعشرون، العدد الثالث (أيلول ١٩٩٤). وشغلت الصفحات (٦٥ - ٩٣).

٣ - يوسف العش: دور الكتب العربية العامة وشبه العامة لبلاد العراق والشام ومصر فى العصر الوسيط، ترجمه عن الفرنسية نزار أباظة ومحمد صباغ، ونشرته دار الفكر المعاصر فى بيروت عام ١٩٩١. ويقع فى ٤٣٧ صفحة. وهذا العمل كان فى الأصل رسالة

دكتوراة للمؤلف، حصل عليها عام ١٩٤٩ من جامعة السوربون (فرنسا) والبحث - كما هو واضح من عنوانه - يمثل موسوعة في موضوعه، اختص مكتبات القدس في الصفحات من ١٥١ - ١٥٣، ٢٧٦ - ٢٧٧. ويعتبر ما ذكره عن مكتبات القدس في هذه الصفحات مصدرًا لا غنى عنه لأى دارس للموضوع.

هذه أقرب الدراسات لموضوع دراستنا - على حد علمى - وهى على العموم لم تعالج موضوعنا فى مجملها بصورة مباشرة، ومع ذلك فقد استفاد الباحث منها وأشار إليها فى حينه.

الفصل الأول

الحركة العلمية والثقافية فى القدس

لمحة جغرافية وتاريخية:

القدس هى عاصمة فلسطين السياسية وفى قلب كل مسلم وعقله، كانت وستظل إن شاء الله ما دامت السماوات والأرض. فالقدس عربية المنشأ والهوية، أسسها اليبوسيون العرب - وهم بطن من الكنعانيين - وأطلقوا عليها «يورسالم» أو «يبوس» على اسم اليبوسيين وهم بناة القدس الأولون، وكان ذلك سنة ٣٠٠٠ق.م[(١)]. ومنذ ذلك التاريخ إلى يومنا هذا لم تعرف بقعة فى العالم تصالحت عليها المحن واختلف عليها الغزاة والطامعون من كل صوب وحدب كأرض فلسطين وخاصة مدينة القدس.

وتعد مدينة القدس ظاهرة حضارية فذة تنفرد بها دون سواها من مدن العالم، ويحار كل من يحاول استشفاف أسباب نشأة هذه المدينة المقدسة والتعرف إلى الخصائص الجغرافية والتاريخية والحضارية الفريدة التى يتمتع بها هذا الموقع.

والقدس ليست مجرد مدينة من المدن أو عاصمة من العواصم، وإنما هى مركز إشعاع يتفجر بمعان تاريخية ودينية وحضارية قلما توفرت

لمدينة أخرى، فمدينة القدس تحتل مكانة بارزة فى وعى الإنسان فى كل مكان وزمان، حيث تميزت تاريخيًا بأنها مدينة ترفض الاستسلام طوعًا لأحد من الغزاة، وهى تتجمل بالصبر على محاولات اغتصابهم لها وفرض سطوتهم عليها بالقوة.

ولا يلخص هذا الوصف واقع مدينة القدس التاريخى تمامًا، أو كما حدث بالتفصيل، ولا يكشف عن واقعها المرير الآن، ولكنه يكشف عن حضورها التاريخي ويؤكد شخصيتها المتميزة المتمردة على كل ظلم وظالم.

والقراءة المتأنية لتاريخ المدينة تكشف عن مراحل تألقت فيها القدس، فاحتلت خلالها مراكز مرموقة ومكانة حضارية رفيعة، مما جعلها دومًا فى قلب الحدث التاريخى، كذلك تميزت المدينة بالمحافظة على مركزيتها وأهميتها الاستراتيجية.

وللجغرافيا أيضًا إسقاطاتها المختلفة على القدس، ودون التطرق إلى التفاصيل، يمكن القول بأن المدينة قد وقعت فى أهم منطقة فى العالم: منطقة البحر الأبيض المتوسط، وتشكل هذه المنطقة نقطة تجمع للممرات الدولية الهامة، كمضيق جبل طارق والدردنيل ومنطقة الخليج عبر مضيق هرمز وباب المندب وقناة السويس.

وموضوع القدس مثير للدارس والباحث كما هو مثير للسياسى والمتعبد، فهو موضوع يحفل بالحقائق الموضوعية وبالوقائع التاريخية، وبالعواطف والمعتقدات الدينية، كل هذا أكسب مدينة القدس أهمية

وتميزًا وتفردًا لا يشاركها فيها أحد، حتى غدت أهم مدينة بعد مكة المكرمة والمدينة المنورة.

وتحتل جغرافية القدس حيزًا فسيحًا في صفحات التاريخ سواء القديم أم الحديث، فتقع مدينة القدس في قلب فلسطين فوق تل صخرى على بعد نحو خمسين كيلو مترًا من مدينة «يافا»، على خط العرض ٥٢ و ٣١° شمالا، وخط الطول ١٣ ، ٣٥° شرقي جرينتش، وقد بنيت المدينة على مرتفعات أربعة تحيط بها مجموعة وديان، وهذه المرتفعات هي: جبل موُرّيا القائم عليه الحرم القدسى الشريف، وجبل أكرا حيث توجد كنيسة القيامة، وجبل بزيتا بالقرب من باب الساهرة، وجبل صهيون الواقع عليه مسجد النبى داوود، وتحيط بالمدينة جبال منها: جبل رأس أبو عمار، وجبل الزيتون، وترتفع المدينة (٨٩٢) مترًا عن سطح البحر[٢]، كما تحيط بالمدينة عدة تلال وأودية، وهذه الأودية هي «وادى قدرون من الغرب، ووادى هنوم من الشرق، ويبدأ الواديان من الطرف الشمالي الغربى، ويلتقيان في جنوب المدينة، وبذلك يحيطان بالمدينة من الشرق والغرب والجنوب»[٣].

وكان من الطبيعى أن يقع اختيار سكانها الأصليين وهم اليبوسيون (بطن من الكنعانيين العرب) على هذا الموقع بالذات لبناء مدينة القدس التى أطلقوا عليها اسم «يبوس» منذ الألف الثالث قبل الميلاد، وذلك لما يتميز به هذا الموقع من حصانة طبيعية في وجه الغزاة، فضلا عن توفر المياه به، فعلى مقربة من «حصن يبيوس» يوجد ماء غزير في وادى قدرون.

ويعتبر «حصن يبوس» أقدم أبنية المدينة، وقد شيده اليبوسيون على القسم الجنوبى من الهضبة الشرقية، وشيدوا فى طرف الحصن برجا عاليا للسيطرة على المنطقة، وأحاطوا الحصن بسور[٤].

وهكذا قامت مدينة القدس فى موقع متميز من أرض فلسطين جعل منها «صورة الوطن المقدس وملتقى أقطاره»[٥]، الأمر الذى حدا ببعض العلماء الأقدمين إلى اعتبارها مركز الكوكب الذى نعيش على سطحه، ويدور فى فلك القدس عدد من المدن والقرى، ولموقعها هذا أهمية استراتيجية وأهمية دينية وأهمية حضارية.

وتنقسم مدينة القدس إلى قسمين:

- المدينة القديمة (القدس الشرقية) وهى زاخرة بآثارها الدينية، وتضم معظم الأماكن المقدسة، وأهم هذه الأماكن «المسجد الأقصى»، وهو الحرم المقدس للمسلمين، الذى تهفو إليه قلوب الملايين من بنى البشر. وقد احتلت إسرائيل هذا القسم من مدينة القدس عام ١٩٦٧.
- المدينة الجديدة (القدس الغربية): وهى حافلة بالمبانى والطرق الحديثة، وقد اغتصبت إسرائيل هذا القسم من مدينة القدس اغتصابا واستولت عليه عنوة عام ١٩٤٨.

وتشكيل المدينة هو انعكاس جدلى للموقع الجغرافى الذى تنمو فيه ولمناخها الطبيعى ولطبيعة الناس الذين ينتمون إليها، وخلال تاريخها الطويل تعرضت القدس لمؤثرات خارجية متعددة كانت متعارضة الأسلوب والهدف فى معظم الأحيان، فتركت بصمات واضحة على واقعها التنظيمى وطابعها المعمارى.

ولما كانت القدس أكثر المدن تفردا فى العالم - حيث تتميز بشخصية واضحة المعالم - فقد كيفت نفسها مع هذه المؤثرات الخارجية ومزجت بينها وبين طبيعة موقعها وحاجات إنسانها المادية والأمنية والروحية، وفضلاً عن كونها مدينة فريدة، فهى مدينة شرق أوسطية، حملت بعض سمات نظيراتها فى المنطقة، هذه المدن نشأت كمحطات على الطرق الواصلة بين مصادر الحضارات فى مراحل تاريخية متعددة[٦].

وهكذا يمكن القول بأن القدس غدت مصبا للحضارات الوافدة، وبوتقة للتفاعل بينها، تتمثل القيم فى رحمها فتلدها حضارة متميزة، وكذلك يمكن القول بأنه لوقوع القدس على خطوط المواصلات، فقد أدى ذلك إلى تلاقى الحضارات على أرضها وظهور ملامح خاصة حفلت بها، ومن أهم هذه الملامح تبلور ثقافة مقدسية متميزة تتعايش فى بيئة عربية إسلامية وتحتضن تعددية دينية وثقافية تعايشت فى سلام ووئام فيما بينها. وليس غريبًا -والحالة هذه- أن تغدو القدس مصدر إلهام لكثير من المبدعين من العلماء والأدباء، وأن يصبح موقعها بل ودورها عاملين فاعلين فى تخطيطها وفى تشكيلها المعمارى وبنائها الحضارى المتميز.

أما الحديث عن تاريخ القدس فهو حديث طويل موغل فى القدم، قادم من أعماق التاريخ السحيق، فهو لا يقف فى مداه عند بدء عصر الكتابة فى القدس أوائل الألف الثالث قبل الميلاد، بل يتجاوزه إلى عصور ما قبل التاريخ التى شهدت ظهور الإنسان العاقل فى القدس،

وهذا التاريخ هو ثمرة تفاعل الإنســان فــى القدس مع بعد الزمان وبعد المكان.

وننظر فى بعد الزمان فنجــد أن تاريخ القدس هو تاريخ متصل على مدى العصور حافل بأحداث كثيرة، ويمكننا أن نقســم هذا التاريخ إلى مرحلتين رئيسيتين:

المرحلة الأولى: تاريخ القدس قبل الفتح الإسلامى.

المرحلة الثانية: تاريخ القدس بعد الفتح الإسلامى.

وهذا التقســيم له ما يبرره فالانطلاقة العربية الإســلامية فى القرن الأول الهجرى (السابع الميلادى) كان لها تأثيرها على القدس خصوصا والمنطقة العربية عمومًا، بحيث يمكن أن نميز بين ما قبل هذه الانطلاقة ومــا بعدها، وقد مر تاريــخ القدس فى كل من هاتــين المرحلتين بعدة أدوار، وكان بصفــة عامة تاريخًا متنوعًا، محافظًــا على وحدته وعلى مدى القرون التى مضت على نشأة وبناء مدينة القدس، يمكننا -ونحن نســتحضر تاريخها- أن نقف عند أهم الحقائق البارزة فيها، فنذكرها بإيجاز دون تفصيل، وننظم منها عقدًا يبرز وحدة هذا التاريخ.

المرحلة الأولى: القدس قبل الفتــح الإسلامى:

اجتمعت كلمة المؤرخين على أن العرب هم مؤسســو هذه المدينة، حيث أسســها اليبوســيون وهم فرع من الكنعانيين العــرب وأطلقوا عليها اسمًا بلغتهم هو يورســالم، وتعنى فى اعتقادهم مدينة الإله، وكان أهل هذه المدينة يعتقدون فى وحدانية الإله(٧).

وكان بنـاء هذه المدينـة حوالى الألـف الثالث قبل الميـلاد، وذلك لخدمة غـرض دفاعي وآخر ديني، لذا فقد بنوا هيكلاً لمعبودهم الأعلى «يورسـالم» - كما تذكره بعض المصـادر[٨] - وكان ملك القدس هو الإله الأعلى، ومن هنا اكتسـبت المدينة قدسـيتها التى اسـتمرت بعد ذلك لأسباب أخرى.

عُرفـت القـدس أول ما عرفت باسـم «سـالم» الجد المؤسـس أو الإله الأعلى، وقد كونت «مملكة مدينة» كغيرها من المدن الكنعانية وعرف من أسماء ملوكها «قدوم سالم» و «ملكى صادق» و «ادونى صادق» وأول ذكر لها ورد فى نصوص الظهارة المصرية فى القرنين التاسـع عشـر والثامن عشر قبل الميلاد، بصورة «يوروشـاليم» ومعناه على الأرجح «مدينة سالم» كما ورد ذكرها فى رسائل تل العمارنة فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد باسم «يورو - سـالم» وفى النقوش الأشورية باسم «أوروسليموا» واقدم اسم لها فى العهد القديم هو «شاليم»[٩]. وأطلقت أسماء كثيرة على مدينة القدس عبر العصور.

ويتضح مما سبق أن الشعب الكنعانى العربى هو الذى أسس المدينة فى زمان بعيد فى الماضى وهو الذى أطلق عليه اسمها، وأقام فيه بيتًا للعبادة يذكر فيه اسم الله فأصبحت قبلة وحجًا، واستمرت هذه صفة المدينة مع توالى الرسـالات السماوية وانتقال أهل القدس من الديانة الكنعانية إلى اعتناق الأديان السماوية الثلاث: اليهودية فالنصرانية فالإسلام.

ازدهرت الحضارة الكنعانية فى مدينة القدس والبلاد التى حولها، وبلغت المساحة التى كانت تشغلها المدينة خلال الألف الثانى قبل الميلاد حوالى أربعين دونما (الدونم: حوالى نصف فدان أى نحو ٢٠٠٠ متر مربع (انظر أحمد صدقى الدجانى، مرجع سابق، ص ٣٦)، وقد أحاط اليبوسيون مدينتهم بسور، وحين مر سيدنا إبراهيم (عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام) حوالى سنة ١٩٠٠ق.م كانت القدس مدينة متكاملة ذات قاعدة ملكية وهياكل دينية ومركز مقدس..

وفى سنة ١٠٤٩ق.م بعد انتقال سيدنا موسى (عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام) إلى جوار ربه، وعلى أثر انقضاء (٤٠) سنة فى صحراء التيه، تولى قيادة بنى إسرائيل «يوشع بن نون» الذى عبر نهر الأردن واحتل مدينة «أريحا» ولكنه لم يفلح فى الاستيلاء على يبوس «القدس»[١٠].

ولم تسقط القدس فى يد بنى إسرائيل إلا بعد ظهور النبى داود (عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام) ملكًا عليهم سنة ١٠٢٠ق.م – والذى كان قد وحد قبائل إسرائيل فى ذلك الزمن تقريبًا، حيث زحف بجيش يضم نحو ثلاثين ألف مقاتل[١١].

احتل داود المدينة التى كانت تعرف آنذاك باسم «يبوس» فى القرن الحادى عشر ق.م. وقد وفق فى اختياره لها عاصمة لملكه لأنها حصينة ويسهل الدفاع عنها، كما أنها تتحكم فى الطرق الرئيسية،

وأطلق عليها اسم «أورشليم» وبنى قصره الملكى فيها، ولداود نسبت «المزامير»[١٢].

ثم ورث سليمان (عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام) الملك بعد أبيه «داود» وحكم أربعين سنة ما بين ٩٦٣ - ٩٢٣ق.م، وبنى هيكلاً وتحصينات وثكنات، وقد دمر هذا الهيكل عدة مرات فى التاريخ ولا وجود له فى الوقت الحاضر على رغم كل المحاولات التى قام بها بنو صهيون للعثور على بقاياه، وهكذا لم تدم دولة اليهود سوى فترة قصيرة، امتدت من سنة ١٠٢٠ق.م إلى سنة ٩٢٣ق.م أى أقل من قرن من الزمان[١٣].

وبعد سليمان انقسمت البلاد فى عهد خلفه إلى مملكتين، وهو أمر متوقع ومنتظر من اليهود الذين لا يجتمعون على نبى ولا ملك - على حد تعبير أحد العلماء[١٤] - هما مملكتا إسرائيل ويهوذا:

- مملكة إسرائيل: كانت توجد فى الشمال واتخذت السامرة عاصمة لها، وعاشت فى الفترة من سنة ٩٢٧ق.م إلى سنة ٩٢١ق.م، حيث قضى عليها الملك الأشورى «سرجون الثانى».
- مملكة يهوذا: كانت توجد فى الجنوب واتخذت أورشليم عاصمة لها، وعاشت فى الفترة من سنة ٩٢٣ق.م إلى سنة ٥٨٦ق.م، حيث قضى عليها ملك بابل «بنوخذ نصر».

وهكذا لم تعمر المملكتان طويلاً، بل تلاشتا إلى الأبد، وتم سبى اليهود على يد ملكى آشور وبابل، ونقلا ما بقى منهم إلى بلادهما

(آشــور وبابل). وظل العرب اليبوسيون يعيشــون فى مدينتهم المقدسة محافظين على طابعهم السياسى وعاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية.

وشهدت القدس منذ القرن العاشر قبل الميلاد وحتى الفتح الإسلامى تتابــع دول وإمبراطوريات تداولت الأيام بينها، فقد حكمها المصريون فى عهد شنشــيق لفترة قصيرة[١٥]، والآشــوريون فالكلدانيون فالفرس فالإغريق فالرومان، وحبلت هذه العهود بأحداث وأحداث، تجلت من خلالها قدرة شــعب القدس على التكيف مع هذه الأحداث، وعمل على الجمع بين الإصالة والتجديد والحفاظ على هويته والتفاعل مع التجارب الحضارية الأخرى وتبادل التأثير معها.

وقد شــهدت القــدس إبان حكــم الفــرس (٥٣٨ - ٣٣٢ق.م) رجوع يهود الســبى من بابل إليها، الذين أعادوا بناء الهيكل مرة أخرى بعد صعوبــات كثيرة[١٦]، ولم يهدأ حال اليهود فــى القدس أو يتوقف عند هذا الحد، بل أخذوا يحاربون أهل القدس من الفلسطينيين ويقاتلونهم لامتلاك البلاد، الأمر الــذى جعلهم يذوقون الهوان والذل أثناء الحكم الفارســى على فلسطين، وكذلك الحكم الرومانى، حيث تعرضوا فى كل الدولة الرومانية إلى محق وخاصة فى الفترة من ســنة ١٣١م - ١٣٥م، وذلك فى عهد الإمبراطور هدريان الذى قضى على اليهود وهدم الهيكل والقــدس، وأعــاد بناء القــدس مرة أخــرى وأطلق عليها اســم «إيلياء كابيتوليا» وسمى البلاد فلسطين السورية[١٨].

ومنذ ذلك التاريخ لم يقم فى فلسطين أوالقدس كيان يهودى يذكر حتى سنة ١٩٤٨، وإن بقي يهود قليلون يقطنون البلاد بعد سنة ١٣٥م، وكان عددهم يتراوح مابين الزيادة والنقصان تبعا لما أبداه حكام البلاد اللاحقون من تسامح أو تعنت.

وقد أورد القس «تشارلز بردجمان» فى كتابه إلى رئيس مجلس الوصايا بتاريخ ١٩٥٠/١/١٣ الفترات التاريخية التى مرت بها مدينة القدس حتى الفتح الإسلامى على النحو التالى[١٩]:

م	الشعوب	البيان	التاريخ	الفترة الزمنية بالسنة
١	الإسرائيليون	من مملكة داود إلى سقوط أورشليم	١٠٢٠ - ٥٨٦ق.م	٤٣٤
٢	البابليون	من سقوط أورشليم إلى سقوط بابل	٥٨٦ - ٥٣٨ق.م	٥٠
٣	الفرس	من سيروس إلى الغزو المقدونى الفارسى	٥٣٨ - ٣٣٢ق.م	٢٠٦
٤	الإغريق	من غزو الإسكندر للقدس إلى تحرير المكابيين	٣٣٢ - ١٦٦ق.م	١٦٦
٥	اليهود	الدول المكابية	١٦٦ق.م - ٦٣م	٩٣
٦	الرومان	من الغزو الرومانى للقدس إلى الفتح الفارسى	٦٣م - ٦١٤م	٦٧٧
٧	الفرس	فترة حكم الفرس	٦١٤ - ٦٢٨م	١٤
٨	الرومان	إعادة فتح القدس على يد البيزنطيين	٦٢٨ - ٦٣٧	١١

من هذا البيان يتضح لنا أن اليهود لم يمكثوا فى القدس كحكام لها إلافى عهد مملكة داود نحو (٤٣٤) سنة وفى عهد الدولة المكابية نحو (٩٣) سنة.

من هذا العرض لتاريخ الوقائع المتعلقة بالقدس قبل الفتح الإسلامى - والذى عرضناه بإيجاز أعلاه - يمكن استخلاص بعض الحقائق التى نوجزها فى النقاط التالية:

١ - أن الحقائق التاريخية تؤكد أن مدينة القدس عربية منذ فجر التاريخ إلى يومنا هذا.

٢ - أن الموقع الاستراتيجى والمكانة الدينية والحضارية لمدينة القدس جعلها مطمعًا لجيمع الأمم وخاصة اليهود الذين يزعمون ويدّعون أنها أرض الميعاد.

٣ - أن اليهود لم يكونوا أصلاً من أهل القدس وإنما هم وافدون عليها وبها سكان أصليون يتألفون من الكنعانيين والفلسطينيين، لهم فيها قدم وعيش وحضارة وثقافة قائمة.

القدس بعد الفتح الإسلامى:

نشأت العلاقة بين القدس والإسلام منذ أُسرى برسول الله سيدنا محمدﷺ من مكة إليها، ومنها عرج إلى السموات العلا، وأصبح الإيمان بهذا الإسراء جزءًا من العقيدة الإسلامية، وأصبحت القدس قبلة المسلمين وهم فى مكة والكعبة المشرفة بين أيديهم، وبقيت قبلة المسلمين لمدة سنة ونصف السنة بعد الهجرة (كما ورد فى الحديث الشريف أن النبى ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا أوسبعة عشر شهرًا)، إلى أن أمر النبى عليه الصلاة والسلام بتحويل القبلة إلى الكعبة فى السنة الثانية من الهجرة، فقد «ظلت القدس قبلة ابتداء

من سـنة ٦١٢ للميلاد، السنة التى فرضت فيها الصلاة، وانتهاء بسنة ٦٢٣ للميلاد السـنة التـى حولت فيها القبلة إلى مكـة[٢٠]. وعلى هذا يعتبر سيدنا محمدًا - ﷺ - الفاتح لبيت المقدس وواضع حجر الأساس للوجود الإسلامى فى تلك البقعة المباركة.

فـى سـنة ١٧ هـ الموافـق ٦٣٨م تم فتح مدينة القـدس على يد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وتسـلم مفاتيحها من «صفروينوس» بطريك القـدس، وأعطى عهده المشـهور - المسـمى العهـدة العمرية - لأهل إيلياء (القـدس) وفى هذا العهد أعطى الأمـن والأمان لأهل القدس من المسيحيين، على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم... الخ[٢١].

وبـدأت القـدس منذ الفتـح العربى الإسـلامى مرحلـة جديدة فى تاريخها، بقيت خلالها فلسـطينية عربية، واسـتمرت مركزًا روحيًا فى ظل الحكم الإسلامى لها، واتصل تاريخها على مدى القرون الثلاثة عشر التالية، وإن تعرضت خلال قرن واحد منها لحكم الصليبيين.

ففى سـنة ١٠٩٩م اسـتولى الصليبيون على مدينة القدس، وأنشئوا ما سمى بـ «مملكة ما وراء البحار» وحكموها من القدس[٢٢]، ولبثت تلك المملكة المسـيحية حتى سـنة ١١٨٧م حينما حرر السلطان صلاح الدين الأيوبـى القدس من قهر الصليبيين وانتصر عليهم فى موقعة حطين فى ٣ يوليه ١١٨٧م، وعادت القدس إلى الحكم الإسلامى.

أمر صلاح الدين بإعادة أبنية القدس إلى حالها القديم، وطهر المسجد والصخرة من أقذار الصليبيين، وصلى فيهما، ونصب منبرًا فى المسـجد

كان قــد أمر نور الدين محمود بصنعه، وعمل صلاح الدين على توســيع المسجد الأقصى، وتدقيق نقوشه، وزوده بالمصاحف والكتب، فعاد إليه رونقه وبهاؤه وجلاله[٢٣].

ويصور العماد الأصفهانى اهتمام صلاح الدين بالمقدسات الإسلامية، وخاصة المسجد الأقصى والصخرة المباركة، بقوله «وحمل إليها (أى إلى الصخرة) وإلى محراب المســجد الأقصى، مصاحــف وختمات وربعات معظمــات، لاتزال بــين أيدى الزائرين على كراســيها مرفوعة، وعلى أسرتها موضوعة»[٢٤].

واســتمرت عناية الأيوبيين كبيرة بالأقصــى والصخرة، كما أهتم من تلاهم من حكام المماليك بعمارة القدس، فجدد الظاهر «بيبرس» ماتداعى من قبة الصخرة وقبة السلســلة وزخرفهما، وبنى خلفاؤه عددًا من الآثار البديعــة فى المدينة، ومن مظاهــر هذه العناية ما فعله بعض ســلاطين المماليك فى مجال القراءات «ففى عهد الملك الاشــرف برســباى، وضع مصحفًا شــريفًا تجاه المحــراب - وهو مصحف كبيــر عظيم أهدى إليه بدمشق - ووقف عليه وقفًا، وعين الشيخ شمس الدين محمد بن مَطْلُوبُغا الرملى المقرئ للقراءة فيه، وكان قارئًا مشهورًا فى الحفظ وحسن الصوت، ثم حل ابنه زين الدين عبد القادر فى وظيفة والده بعد وفاته»[٢٥].

ولاشك أن هذا الصنيع يعكس عاملاً من عوامل تقدم الحركة الفكرية فــى بيت المقــدس، وكان بيــت المقدس مشــهورا بعلمائه فــى العصر

المملوكى، وعندما زار ابن بطوطة بيت المقدس فى العصر المملوكى سنة ٧٢٦هـ وصفه بأنه كان عامرا بالعلماء [٢٦].

واستولى العثمانيون بزعامة السلطان سليم الأول على فلسطين بما فيها القدس سنة ١٥١٦م، وأصبحت القدس جزءًا من ولاية دمشق إبان الحكم العثمانى، واهتم السلطان سليم القانونى (١٥٢٠ - ١٥٦٦) بعمارة القدس فجدد السور ورمم قبة الصخرة وجدران الحرم وأبوابه.

ولم تلبث المدينة أن عانت خلال القرنين التاليين من التخلف الذى أصاب الدولة العثمانية، واستمر الحكم العثمانى لمدينة القدس حتى سنة ١٩١٧.

وفى خريف سنة ١٩١٧ دخلت فلسطين قوات مسلحة بريطانية واستولت على مدينة القدس، وأصبحت تحت الإدارة العسكرية البريطانية، وفى نفس العام أصدر وزير خارجية بريطانيا آنذاك المستر بلفور ما يسمى بـ «وعد بلفور» الخاص بإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين، وفرضت بريطانيا الانتداب البريطانى على البلاد منذ سنة ١٩٢٢ وحتى سنة ١٩٤٨.

وخلال هذه الفترة، وتحديدًا سنة ١٩٤٧ وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة على مشروع تقسيم فلسطين إلى دولتين: عربية - ويهودية، وأن تبقى مدينة القدس تحت إشراف مجلس الوصاية التابع للأمم المتحدة بوصفها كيانًا مستقلاً.

وفى سـنة ١٩٤٨ أعلنت سـلطة الانتـداب البريطانـى عزمها على الإنسـحاب من فلسـطين، وانسـحبت فعلاً فى ١٤ مايـو ١٩٤٨. وفى ١٥ مايـو ١٩٤٨ أعلـن المجلس القومى اليهـودى المؤقت فى «تل أبيب» قيام دولة إسـرائيل، وتلا ذلك فورًا قتال بين القوات المسلحة اليهودية والقوات المسـلحة العربية، وبعد انتهاء مراحـل القتال كانت القدس الغربية تحت سـيطرة اليهود، والقدس الشرقية تحت حماية الأردن، وبقيت المدينة مقسـمة على هذا النحو حتى سـنة ١٩٦٧ حين استولت عليها إسرائيل.

ومنذ سـنة ١٩٦٧ وحتـى يومنا هذا بدأت مدينـة القدس عهدا من المعانـاة وعهدا من المقاومة للاحتلال الإسـرائيلى، ولم تكتف حكومة إسـرائيل بكل ما فعلته فى مدينة القدس من تخريب وتدمير وتشـريد أهلها، بل اسـتصدرت سـنة ١٩٨٠ قرارًا من الكنيست الإسرائيلى بأن مدينة القدس الموحدة هى عاصمة إسرائيل الأبدية.

وابتـداء مـن سـنة ١٩٩٠ وحتى يومنا هـذا بـدأت المفاوضات بين الجانبين الفلسـطينى والإسـرائيلى فى ضـوء الحل النهائـى للقضية الفلسـطينية بمـا فيها مدينة القـدس التى تعتبر لـب الصراع العربى الإسـرائيلى، فالقدس كانت دومًا مفتاح الحرب والسـلام فى المنطقة، إذا اسـتتب الأمن والسـلام فيها نعمـت المنطقة كلها بالأمن والسـلام والاستقرار وعكس ذلك صحيح.

وتعمل اسرائيل بكل ما أوتيت من غطرسة القوة على إخضاع الشعب الفلسطيني عن طريق تدميره بكل الوسائل: سياسيًا، واقتصاديًا واجتماعيًا ونفسيًا وتعليميًا، ولكن التاريخ - وهو معلم الشعوب - أثبت قبل أكثر من ثمانمائة سنة في ظروف متشابهة -من حيث تمزق الصف العربي والاحتلال الصليبي للقدس وفلسطين- أن صلاح الدين الأيوبي الذي عقد العزم وبالإرادة والتنظيم والولاء لله والجهاد في سبيله استطاع تحرير القدس، مما يحدونا أن نأخذ العبرة والاستفادة من دروس الماضي.

الحياة العلمية والثقافية:

القدس اسم سجله الإسلام في صفحة مشرقة من صفحات التاريخ، وهو رمز للطهر والنقاء، ولنشر السلام والوئام، وقد وضع المسلمون الدعائم الراسخة لهذه البقعة المباركة منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا، وأحاطوها بالرعاية والتقدير واحترام شعائر الدين ومقدساته التي تشد إليها الرحال من جميع الأقطار ابتغاء مرضاة الله.

ولقد أصاب أحد الباحثين حينما ذهب إلى أن «ارتباط القدس بالحياة الإسلامية الأولى، قد جعل منها ومن الأرض المباركة حولها أكثر من مجرد تراب يعيش الإنسان المسلم فوقه، بل قاعدة أرضية مقدسة من قواعد الإسلام، لا تقوم مقامها الدنيا بأسرها»[٢٧].

فارتباط المدينة المقدسة بالحياة الإسلامية أمر بديهي لا جدال فيه، فقد شرفها الله بالإسراء، ومنها كان معراج رسول الله ﷺ إلى السماوات

العـلا، وفى القرآن الكريم والأحاديـث النبوية نصوص كثيرة، تخص هذه المدينـة وتبين مكانتها المقدسـة، فهى بقعة مقدسـة تهفو إليها نفوس المؤمنين فى مشـارق الأرض ومغاربها، حتى غدت قداستها لدى المسلمين وارتباطهم بها جزءا لايتجزأ من العقيدة الإسلامية.

وإن البلاد والبقاع كالأشـخاص لها ملامـح ومعالم تميزها، وصفات وخصائص تربطها بالقلوب وتصلها بالمشـاعر والأحاسـيس، وإن لبيت المقـدس من هذه ا لصلات والروابط ما يجعل له مكانة عظيمة فى نفوس المسلمين وذكرى خالدة على مر العصور والدهور.

والتاريـخ العلمى لهـذه المدينة ينطوى على حقبـة طويلة من أمجاد الإسلام والمسـلمين، تهز المشاعر ذكرياتها وتحفز النفوس أحداثها، وإن استعراض هذا التاريخ وتعرف حقائقه، ليظهر لنا بجلاء المكانة العلمية لهـذه البقعـة المباركة ويبين لنـا مدى ما وصل إليه المسـلمون من رقى حضارى وتقدم علمى.

ولعـل تاريخ الحيـاة العلمية والثقافية لهذه المدينة المقدسـة يبدأ منذ الفتح الإسلامى لها وحتى عصرنا الحالى، ونظرًا لطول هذه الفترة، فقد تم تقسـيمها إلى مراحل وفترات متميزة المعالم، تناول الباحث فى كل منها لمحة تاريخية موجزة عن الحركـة العلمية والتعليمية فيها واتجاهاتها العامة، ومراكزها الرئيسية ومؤسساتها وأبرز علمائها وأهم مصنفاتهم.

ويجب ألا يغيب عن البال - فى هذا المقام - أن عملية تقسيم التاريخ العلمـى إلى فترات ما هو إلا تقسـيم اصطناعى بالدرجة الأولى من أجل

الدراسة فقط، ذلك أن التاريخ العلمى للقدس ما هو إلا حلقات زمنية متصلة ومتداخلة ومتراكمة من الصعب فصلها عن بعضها، ومع ذلك لاينكر الباحث أن هناك بعض الأحداث ذات سمات بارزة قد تترك آثارًا خاصة يحسن أخذها بعين الاعتبار، وقد تصبح مرشدًا عمليًا لتحديد الفترة الزمنية، وقد تبلغ من الأهمية أن تسمى الفترة الزمنية بها.

الفترة الأولى: من الفتح الإسلامى وحتى نهاية العصر الفاطمى (١٧ - ٤٩٢هـ/ ٦٣٨ - ١٠٩٩م):

حض الإسلام بقوة على طلب العلم، وجعله فريضة على كل مسلم ومسلمة، وكرم العلماء وجعلهم ورثة الأنبياء، وذلك ظاهر بجلاء فى آيات القرآن الكريم وفى كثير من أحاديث الرسول الكريم ﷺ وقد كان سيدنا محمد ﷺ معلمًا، وهكذا كان الصحابة من بعده.

وكان من التوجيهات الأولى لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب بعد فتح القدس الأمر ببناء المساجد التى كانت مراكز عبادة ومراكز علمية وتعليمية فى الوقت نفسه، وقد قام عمر نفسه بإنشاء مسجد فى القدس[٢٨]. ومنذ ذلك الحين شهدت مدينة القدس حركة علمية نشطة بفضل مكانتها الدينية، قال يعلى بن شداد بن أوس: وشهدت مع معاوية ببيت المقدس فجمع بنا، فإذا جُلُّ من فى المسجد من أصحاب رسول الله ﷺ [٢٩].

واهتـم خلفاء بنى أميـة اهتمامًا خاصًا ببيت المقـدس، وكان أعظم مآثرهـم فيهـا بالطبع بناء قبة الصخرة سـنة ٧٢هــ/ ٦٩١م، ثم بناء المسـجد الأقصى بعد ذلك بسـنوات، وفى ظلهم اسـتمر العطاء العلمى للتابعين واتباع التابعين فى القدس[٣٠].

وقد حفل المسجد الأقصى فى العهد الأموى بقُراء القرآن الكريم والمُحدِّثْين والمفسـرين والفقهـاء، من أمثـال أبو عمر سـليمان بن عبد اللــه الانصارى الفلسطينى، والوليد بن عبد الرحمن الجرشى، ومقاتل بن سليمان[٣١].

وفى دراسـة حديثة تشير إلى أن عدد علماء القدس وقتئذ بلغ (٣٠) عالمًا[٣٢]. وهناك عدد غفير من الصحابة الذين عَلّموا ببيت المقدس ومنهم من توفوا فيه.

ومـن المعلـوم تاريخيًا أن حكـم بنى أمية انتهى سـنة ١٣٢هـ، وقد كان لهم قصب السـبق فى وضع أسـس التعليم وتنشيط الحركة العلميـة، وقد تمثل ذلـك فى الاهتمام بإقراء القـرآن، وبدء تدوين الحديث الشـريف، والسـيرة النبوية، واتخاذ اللغـة العربية لغة رسـمية فـى الإدارة والمعامـلات، كما ظهرت أسـاليب متميزة فى الكتابة النثرية وجمع التراث العربى فى الشعر والأدب.

ومع بداية العصر العباسـى حدثت بعض التغيرات فى نشاط المراكز العلمية فى مدينة القدس، ففى القرن الثانى الهجرى شهد بيت المقدس حركة علمية نشيطة تمثلت فى[٣٣]:

١ - زيارة عدد كبير من العلماء والأئمة من مختلف البلدان المسجد الأقصى كالأوزاعى والليث بن سعد والإمام الشافعى.

٢ - ازدهرت القراءة فى المسجد الأقصى ازدهارًا شديدًا وخاصة من أهل فلسطين.

٣ - صار المسجد الأقصى قبلة طلاب العلم من بلاد الشام وخارجها.

ولكن هذا النشاط العلمى والتعليمى فى المسجد الأقصى لم يلبث طويلاً، حيث تراجع بعض الشيء، وخاصة فى القرنين الثالث والرابع الهجريين، وعلى سبيل المثال فإن مجير الدين الحنبلى لا يذكر من علماء بيت المقدس سوى واحد فى القرن الثالث وواحد فى القرن الرابع[٢٤]. وأغلب الظن أنه يقصد علماء الدين: وزاد هذا الانحسار العلمى فى أواسط القرن الرابع الهجرى بصورة ملفتة للنظر - إبان الحكم الفاطمى - حيث يصف «المقدسى» القدس بأنها قليلة العلماء[٣٥].

وربما ترجع ظاهرة قلة علماء القدس فى القرنين الثالث والرابع الهجريين إلى العوامل الآتية:

١ - هجرة بعض علماء فلسطين إلى الأقطار الأخرى كالقاهرة ذات الثقل العلمى وموئل المراكز العلمية الكبرى، وبغداد ودمشق حيث كانتا أكثر اجتذابًا للعلماء.

٢ - ضعف الحركة العلمية فى البلاد نتيجة للحروب التى نشبت بين الفاطميين والقرامطة.

وكانت العلوم الشـرعية هى السـائدة - بطبيعة الحال - طوال هذه الفترة فى الدراسة والتعليم بالمسجد الأقصى، وتشير إحدى الدراسات الحديثة إلى أن حوالى ٩٥٪ من علماء الشام وفلسطين (القدس) فى القرون الثلاثة الأولى للهجرة كانوا يُعلّمون الدين وعلومه والأدب واللغة والتاريخ، أما مدرسو العلوم الطبيعية والتجريبية فلم يتجاوز عددهم ٥٪ فى أحسن الحالات[٣٦].

ومما يلفت النظر أنه فى القرن الرابع الهجرى حدث انحسار نسبى للدراسات الدينية، فى مقابل تطور فى الدراسات التطبيقية، ويذكر ابن أبى أصيبعة وجود عدد كبير من أطباء القدس، منهم على سبيل المثال: محمد بن أحمد بن سعيد التميمى الذى درس الطب على يد الراهب زخريا بن ثوابه، وأبو محمد بن أبى النعيم أبوعلى... الخ[٣٧]. وهذا حق حيث اهتم الفاطميون بإنشاء بيمارستانات فى القدس[٣٨]، والتى كانت بمثابة معاهد علمية لتدريس العلوم الطبية.

كذلك زادت حركة التأليف فى العلوم الجغرافية فى هذا القرن (القرن الرابع الهجرى)، ولعل كتاب «أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم» الذى ألفه الرحالة الجغرافى محمد المقدسى البشارى يعتبر من أفضل الكتب التى وضعها الجغرافيون العرب القدامى.

وشهد القرن الخامس الهجرى انتعاشًا كبيرًا فى العلوم الدينية، ولاسيما فى بيت المقدس، حيث غدا المسجد الأقصى - من جديد - مركزا

لحياة علمية نشطة، ضمت علماء كثيرين من فلسطين ومن خارجها، منهم الشيخ بن نصر بن إبراهيم المقدسى[٣٩]، وأمّ البيت وعلّم فيه عدد غفير من العلماء من كل صوب وحدب، من الأندلس وفارس والحجاز، من أمثال الإمام الطرطوشى الأندلسى، والإمام أبو حامد الغزالى، والإمام الشيرازى وغيرهم كثيرون[٤٠].

كما شهد القرن الخامس الهجرى أيضًا نشاطا فى ميدان الأدب من شعر ونثر، ويؤيد ذلك ما ذكره ابن العربى «ألقيت بها بحر أدب يعب عبابه، ويغيب ميزابه، فأقمت بها لأرتوى منه نحوا من ستة أشهر»[٤١].

أما عن مؤسسات التعليم فى مدينة القدس - خلال تلك الفترة - فيمكن تحديدها فى مؤسستين - شأنها شأن سائر البلدان الإسلامية - هاتان المؤسستان هما:

١ - الكُتّاب: حيث أخذ على عاتقه مهمة تعليم القراءة والكتابة للأطفال والصبيان ومحو أميتهم، فضلًا عن تعليمهم مبادئ الدين الإسلامى، وشىء من النحو والحساب والحكم والأمثال، لتأهيلهم لمواصلة وتكملة تعليمهم فى المؤسسة الثانية (المسجد).

٢ - المسجد: وكان مركز التعليم الأساسى آنذاك فى البلدان الإسلامية، فقد بدأ بناء المساجد فى القدس منذ زمن بعيد، ومن المساجد الأولى فى القدس المسجد الذى بناه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فى

الحرم الشريف، ثم جدد الأمويون بناء المسجد الأقصى، وبنوا مسجد قبة الصخرة.

ولقد كان المسجد الأقصى موئلا للعلم في مدينة القدس، وكان عماد الحركة الفكرية فيها وقد قام بدور كبير في دفع هذه الحركة وتطورها. لقد كان المسجد الأقصى جامعة إسلامية، إذا جاز لنا أن نطلق اسم جامعة على المسجد التعليمي، وكانت له رسالة علمية، وقد قام بها خير قيام وأداها حقا على ما يرام، ولاغرو في ذلك، فقد كان الأقصى يمثل مظهرًا حضاريًا وفكريًا، ويمثل مظهرا من مظاهر التمدن الإسلامي، ويقوم بدوره في دراسة التراث الإسلامي والحفاظ عليه، وبهذا كان له أثر كبير في خدمة الثقافة الإسلامية ورعايتها وتنشيط الحركة العلمية وصيانتها.

ويضاف إلى هاتين المؤسستين الخوانق التي أقامها محمد بن كرام (المتوفى سنة٢٥٥ هـ/ ٨٦٩م) وأتباعه الكرامية في القدس للعبادة والذكر والتعليم[٤٢]. ويضيف البعض[٤٣] إلى ذلك «دار العلم» التي أنشأها الفاطميون بالقدس على غرار دور العلم التي أنشئوها في القاهرة وطرابلس لنشر المذهب الشيعي.

أما بالنسبة للكتب التي كانت متداولة في القدس - وفي بقية البلدان الإسلامية - بمعناها المعروف، فقد بدأت في الظهور في القرن الثاني الهجري، ثم زادت في القرون التي تلته، وكان معظمها يتصل بتعليم الشيوخ الثلاثة: الزهري (ت١٢٤ هـ) الأوزاعي (١٥٧هـ) الوليد

ابن مسلم (ت ١٩٥هـ). ثم بدأ يظهر من الكتب ما يعرف بـ«المسند» وهى الكتب التى تجمع أحاديث كل صحابى على حده، ثم ظهرت الكتب التى تعرف بـ«المجاميع» وقد رتبت فيها الأحاديث حسب الأبواب، ثم ظهرت كتب «الطبقات» التى رتب فيها الرجال فى طبقات(٤٤).

الفترة الثانية: وتشمل العصرين الأيوبى والمملوكى (٥٨٣ - ٩٢٢هـ/ ١١٨٧ - ١٥١٦م):

يعُدّ دخول صلاح الدين الأيوبى مدينة القدس - بعد انتصاره على الصليبيين سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م - بداية جديدة للحياة العلمية التى عمت ديار الشام عامة وفلسطين خاصة والقدس على وجه الخصوص.

ولم تمنع صلاح الدين مشاغله الحربية وهمومه السياسية من الاهتمام بالعلم وأهله، فأعاد بناء ما خربه المغول والصليبيون من دور علم وما أحرقوه ودمروه من خزائن كتب، وما هدموه من مدارس ومساجد ومنشآت حضارية تمثل الوجه المشرق للحضارة الإسلامية.

واستهل صلاح الدين عهده فى فلسطين بعملين جليلين هما(٤٥):

١ - إنشاء المدارس.

٢ - العمل على تزويد المسجد الأقصى بالكتب الدينية والعلمية.

فقد عمد إلى تحويل الدار التى بناها فرسان المنظمة الصليبية العسكرية المسماه «الاستبارية» إلى مدرسة كبرى هى «المدرسة الصلاحية» لتدريس الفقه الشافعى بها، ويسجل هذه الواقعة العماد

الأصفهانـي بقوله: فاوض الســلطان (يقصد صلاح الدين) جلســاءه من العلماء الأبرار والأتقياء الأخيار في مدرســة للفقهاء الشـافعية ورباط للعلماء الصوفية، فعين للمدرســة الكنيسة المعروفة بصندحنّة (القديسة حنّة هى أم مريم بنت عمران.) عند باب الأسباط، وعين دار البطرك للرباط ووقف عليهما وقوفا[٤٦].

ويشـير مجير الدين الحنبلى إلى حرص صلاح الدين على تزويد هذه المؤسســات التعليمية بالكتب: إلى أن الســلطان صلاح الدين امر بهدم البنــاء الذى أقامه الصليبيون فى الصخرة، وأعادها كما كانت ورتب لها إمامًا حسـن القراءة ووقف عليها دارا وأرضا وحمل إليها وإلى محراب المسجد الأقصى مصاحف وخَتْمات وربعات شريفة[٤٧].

واشــتهر ســلاطين بنى أيوب بحبهم للعلم والعلماء - وعلى رأسهم صــلاح الديــن - الذى جمع حولــه رجال العلم وكان يحضر مجالســهم ويستمع إليهم ويشاركهم فى أبحاثهم[٤٨].

ومــن النصــوص الســابقة يتبــين بوضــوح التطورات التــى حصلت فــى القدس فى العصــر الأيوبى، والتــى تمثلت - بدايــة - فى عناية صلاح الدين بإعــادة الحياة العلمية والدينية إلى المســجد الأقصى ومده بالمصاحف الشــريفة، وأوقف عليه الأوقاف الكثيرة للإنفاق عليه، كما أنشــأ كثيرًا من مؤسســات التعليم الأخرى وعلى رأسها المدارس، فأنشأ المدرسة الصلاحية والخانقاه الصلاحية، ومكتبا لتعليم الأطفال.

وقد سار الأيوبيون على سـنة صلاح الدين فى تأسس المعاهد العلمية وتزويدها بالمدرسـين والكتب المخطوطة، فكانـوا محبين للعلم وأهله، فالعزيز عثمان الذى خلف أباه صلاح الدين فى السـلطنة، يقول عنه ابن خلكان «إنه سـمع الحديث من الحافظ السـلفى، والفقيه ابى طاهر بن عوف الزهرى، وسـمع بمصر من العلامة أبـى محمد بن برى النحوى وغيرهـم»[٤٩]. وقد جـدد الملك المعظم عيسـى بن أحمد بـن أيوب بناء المدرسـة الناصرية وجعلهـا زاوية لقراءة القرآن والاشـتغال بالنحو، ووقـف عليها كتبا فى جملتها إصلاح المنطق لابن السـكيت بخط الإمام النحوى ابن الخشاب[٥٠].

ومثل هذا يقال عن بقية سلاطين بنى أيوب وبخاصة السلطان الكامل الذى قـال عنه المقريزى «كان يحـب أهل العلم، ويؤثر مجالسـتهم، وعنده شـغف بسـماع الحديث النبـوى، وكان يناظـر العلماء، وعنده مسائل غريبة من فقه ونحو يمتحن بها، فمن أجاب عنها قدمه وحظى عنده»[٥١].

لذا فلا عجب إذا اشتهر من بنى أيوب أنفسهم أعلام فى شتى ضروب المعرفة، فمنهم المؤرخ المشـهور أبو الفدا، وهو عماد الدين إسماعيل بن الملك الأفضل نور الدين على بن جمال الدين محمود بن عمر بن شاهنشاه ابـن أيوب (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م) وهو صا حب كتاب «المختصر فى أخبار البشر».

وقد حاكى سلاطين المماليك سلاطين الأيوبيين في بناء المدارس، وكان المماليك - على رغم كونهم من أصول غير عربية متعددة - أصحاب فضل في ازدهار النشاط العلمي في بلدان العالم الإسلامي، حيث اتسم عصرهم بالأمن والاستقرار، وهما الدعامتان الأساسيتان لأي نشاط علمي وحضاري. وخير ما يدل على ازدهار الحياة العلمية في عصر سلاطين المماليك، عظم الثروة العلمية التي وصلتنا من ذلك العصر بالذات، ومازالت دور الكتب في كافة أنحاء العالم مشحونة بمئات المخطوطات التي ترجع إلى ذلك العصر، والتي تناولت معظم ألوان المعرفة : الأدب والتاريخ والجغرافيا والعلوم الدينية والطب والفلاحة والمعارف العامة وغيرها[٥٢].

وكانت هذه المؤلفات تدرس في المدارس التي أنشأها سلاطين المماليك، وخاصة العلوم الدينية التي قصد الحكام بإقامتها التقرب إلى الله وكسب الثواب.

وجملة القول أن أبرز التطورات في مجال الحركة العلمية والثقافية في هذه الفترة تمثلت في الاهتمام بالمساجد وخاصة المسجد الأقصى، وإنشاء المدارس، ففي هذه الفترة أخذ المسجد الأقصى يغص من جديد بالعلماء من جميع أنحاء العالم الإسلامي، وقد أورد مجير الدين الحنبلي في الجزء الثاني من كتابه الأنس الجليل سيرًا مختصرة لحوالي (٤٤٠) عالمًا وخطيبًا وقاضيًا ومؤلفًا ممن عاشوا وعلّموا في بيت

المقدس منذ الفتح الصلاحى وحتى سنة ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م[٥٣]. والمدارس تطور جديد فى العالم الإسلامى حدث بعد الأربعمائة من سنى الهجرة - على حد قول المقريزى[٥٤] - حيث بدأت المدارس فى الظهور وقاسمت المسجد الأقصى عملية التدريس والتعليم.

وكان الهدف من إنشاء المدارس وكثرتها - خلال تلك الفترة - هو تدعيم المذهب السنى ضد المذهب الشيعى، وكان صلاح الدين شافعيًا متحمسًا لمذهبه، لذا يرجع له الفضل فى إنشاء أول مدرسة فى القدس لتدريس هذا المذهب، وهى المدرسة الصلاحية سنة ٥٨٨هـ. ومهما يقال عن أهداف صلاح الدين من إنشاء المدارس، فإن التوسع فى إقامة هذا النوع من المؤسسات جاء فى حد ذاته مظهرًا قويًا لرقى الحياة الفكرية فى عصر الأيوبيين[٥٥].

وكانت المدارس فى هذه الفترة تعادل فى مستواها جامعات اليوم، فهى كليات ومعاهد للتعليم العالى، وكان لكل مدرسة مذهبها الذى تتبعه، وكان بعضها يشتمل على أربع كليات للمذاهب الأربعة، حيث كانت مدارس دينية بالدرجة الأولى، فانصب جُل اهتمامها على تدريس العلوم الدينية من فقه وحديث وتفسير وغيرها. ولكن هذا الوضع لم يلبث أن تطور حتى غدت المدارس مراكز لتعليم وتدريس النحو والفلسفة والعلوم الطبيعية كعلوم الحساب والجبر والميقات، فضلاً عن العلوم الدينية.

كذلك شـهدت هذه الفترة نشـاطا ملحوظًا فى علـوم اللغة العربية وبخاصة النحو والصرف، واشـتهر من علماء اللغة فى ذلك العصر أبو محمد بن برى المتوفى سنة ٥٨١هـ/ ١٨٨٥م، وأبو الفتح البلطى المتوفى سنة ٥٩٦هـ/ ١٢٠٠م، وابن عبد المعطى الزاوى المتوفى سنة ٦٢٨هـ/ ١٢٣١م، وابن الحاجب المتوفى سنة ٦٤٦ هـ/١٢٤٨م(٥٦).

ويفيدنـا البلوى فـى كتابه «تاج المفرق» بمعلومـات قيمه عن العلوم والكتـب التى كانت تدرس فى هذه الفترة، وهى كتب الحديث والطب والتصـوف(٥٧). كذلك أخـذ موضوع «فضائل بيت المقـدس» يحتل مكانًا مرموقًـا فى مجالـس التدريس، وخاصـة بعد الفتـح الصلاحى لبيت المقـدس، حيث ألقى تحريـر القدس على يد صلاح الديـن الأيوبى من الصليبيين سـنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م مسـئولية كبيرة على علمـاء العالم الإسـلامى من فقهـاء ومحدثين ومؤرخـين وغيرهم، ذلـك أن عروبة الأرض المقدسة وإسلاميتها اصبحتا مسألة يعوزها التجذير بعد تسعين سنة من الاحتلال الصليبى الذى عمل على تقليص ومحو الوجود العربى والإسـلامى من الأرض المقدسة، وتجدر الإشارة إلى الدور الكبير الذى قـام به علماء المسـلمين وفقهاؤهم فـى وضع المصنفات التـى تدعو إلى الجهاد وتحث عليه واسـتثاروا مشاعر الناس وهممهم ووجهوها نحو الأرض المقدسـة لاسـتنقاذها وتحريرهـا، و إمعانًا فـى ترغيب الأمة بالثـواب من الله، صنفوا فى فضائل المدن وعلى الأخص مدينتى القدس

والخليل لما لهما من مكانة مقدسة عند المسلمين، وهكذا وضع هؤلاء العلماء والفقهاء سواء كانوا من بيت المقدس أم من خارجها سلسلة من الكتب سميت بـ «كتب الفضائل»، وافتتح التأليف فى هذا الفن محمد بن أحمد بن محمد الواسطى المقدسى (٤١٠هـ/ ١٠١٩م) خطيب المسجد الأقصى، بكتابه الموسوم «فضائل القدس» وهو أقدم كتاب مستقل عن فضائل القدس، تحدث فيه عن الأماكن المقدسة وفضلها، وفضل القدس والصلاة فيها وخاصة المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة. وكانت كتب الفضائل تدرس فى المسجد الأقصى وفى المدارس، ومن أشهر هذه الكتب[٥٨]:

١ - باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس لبرهان الدين الفزارى المتوفى سنة٧٢٩ هـ/ ١٣٢٨م.

٢ - مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام لأحمد بن محمد بن هلال المقدسى المتوفى سنة ٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م.

٣ - فضائل القدس لأبى الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م.

٤ - اتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى لشمس الدين محمد بن أحمد المنهاجى السيوطى المتوفى سنة ٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م.

٥ - روضة الأنس فى فضائل الخليل والقدس لعارف الشريف المتوفى سنة١٣٨٣ هـ.

هــذا وقد كثرت الكتــب التى كانت تدرس فى هــذه الفترة، وزادت زيادة كبيرة، ويضيق المجال هنا لحصرها؛ وتكفى الإحالة إليها[٥٩].

وقصــارى القول فإن العصرين الأيوبى والمملوكى يعتبران قمة التطور فى النشــاط العلمى فى فلســطين بصفة عامة، وفى القدس بصفة خاصة؛ فقد أُنْشِــئَتْ فيهما مؤسســات التعليــم على اختلافها، وأخذ المســجد الأقصــى مكانته المرموقة كجامعة إســلامية، وزاد عــدد العلماء زيادة كبيرة لم تبلغها أية فتــرة أخرى، وزاد عدد المؤلفات والمصنفات، وهذا كلــه كان له كبير الأثر فى تطور الحركــة العلمية والتعليمية والثقافية فى مدينة القدس.

الفترة الثالثة: العصر العثمانى

(٩٢٢ - ١٣٣٥هـ/ ١٥١٦ - ١٩١٧م):

اســتولى العثمانون على بلاد الشــام بما فيها فلسطين سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م، واســتمر حكمهــم فيها أربعــة قرون، كان القــرن الأول من هــذه القرون الأربعة قمة الازدهار للحركــة العلمية والثقافية فى بيت المقدس، حيث اهتم السلطان ســليمان القانونى (٩٢٦ – ٩٧٤هـ/ ١٥٢٠ – ١٥٦٦م) بالقدس فأنشــأ بها كثيرًا من المنشــآت التعليمية وبنى سور القدس وعمر المســجد الأقصى وظلت الحركة العلمية نشــطة فى المسجد الأقصى طوال هذا القرن. وفى عهد سليم الثانى (١٥٦٦ – ١٥٧٤) ومراد الثالث (١٥٧٤ – ١٥٩٥) استمرت هذه المنشآت والنشاطات العلمية.

ومن المنشآت المهمة التى أنشأتها «روكسلانة» زوجة السلطان سليمان القانونى «تكية خاصكى سلطان» التى كانت تحوى من ضمن ما تحوى مدرسة(٦٠).

ومع نهاية القرن العاشر الهجرى/ السادس عشر الميلادى بدأ الضعف يدب فى أوصال الدول العثمانية، حيث أخذت الدولة فى التقهقر على إثر وفاة سليمان القانونى (١٥٦٦)، فقد أصيبت بأول انكسار حربى عندما هزم الأسطول الإسبانى الأسطول التركى فى معركة لبانتو البحرية عام ١٥٧١، وتوالت الهزائم عليها فى حروبها مع فرنسا والمجر وروسيا منذ مطلع القرن الثامن عشر الميلادى حتى أوائل القرن العشرين، وأخذ الضعف السياسى والتدهور الاقتصادى يسريان فى جسم الدولة خلال تلك الفترة، حتى أطلق عليها «رجل أوروبا المريض». وكانت أكبر هزيمة لها فى الحرب العالمية الأولى وانهارت أمام ضربات الجيش البريطانى فى هذه الحرب، وانتهى الأمر بتمزيق أوصال الدولة العثمانية، وورث كل من بريطانيا وفرنسا معظم أملاك الدولة العثمانية، وكانت فلسطين من نصيب بريطانيا.

وقد انعكست الأوضاع الاقتصادية على كل أقطار الدول العثمانية ومنها فلسطين، مما كان له تأثيراتها السلبية على أوضاع التعليم والحركة العلمية فى فلسطين، وبدأ الاضمحلال التدريجى للأوقاف التى وقفت على المدارس وغيرها من دور العلم حتى توقف كثير

مـن المدارس عن العمـل، وأصبح التعليم فى القدس يعتمد أساسًـا على المساجد، وعلى عدد قليل من العلماء الذين حا ولوا أن يبقوا شعلة العلم مضيئة فى هذه البلاد.

وفى القرنين الحادى عشـر والثانى عشـر الهجريين/ السابع عشر والثامن عشـر الميلاديين بدأت الحركة العلمية فى فلسطين - بما فيها القدس - تسـير فى خـط متراجع، وأصبح العلـم والتعليم فى تقهقر، وقل عـدد العلماء فى فلسـطين وخاصة فى القدس، فقـد أورد صاحب كتاب «تراجم أهل القدس فى القرن الثانى عشـر» الشيخ حسن بن عبد اللطيف الحسـينى - مفتـى القدس (ت ١٢٢٤هـ/ ١٨٠٩م) - تراجم ثمانيـة وثلاثين عالما من علماء القدس فى ذلك القرن[٦١]. وهو عدد قليل إذا ما قورن بعددهم فى القرون السابقة.

أما عن المدارس التى أنشـئت فى القدس فى العصر العثمانى فكانت قليلـة العدد، وهذه المدارس هى: القرقشـندية، الدقمرية، المرمرية، المنصورية، الصافنية، الحجرحية، المارودية، الأحمدية، مدرسة مراد باشا، مدرسة الخانقاه الأسعدية[٦٢].

وتجدر الإشـارة فى هذا المقام إلى أن المسجد الأقصى احتفظ بمكانته كنقطة جذب للعلماء المسـلمين من بلاد العالم الإسلامى المختلفة، ومن أبـرز العلمـاء الذين زاروا المسـجد الأقصـى فى القرن الحادى عشـر الهجـرى، أحمـد بن محمـد المَقرى صاحـب كتاب «نفـح الطيب من

غصن الأندلس الرطيب» وألقى عدة دروس بالمسجد الأقصى والصخرة المشرفة[٦٣].

وفي القرن الثاني عشر الهجرى زار القدس كل من أمام الصوفية عبد الغنى النابلسى (١١٠١هـ) والسيد مصطفى البكرى (١١٦٢هـ) الدمشقيان، كما زارها مصطفى أسعد اللقيمى الدمياطى (١١٤٣هـ)[٦٤].

وهكذا ظل المسجد الأقصى قطب الرحى فى الحركة العلمية فى هذه الفترة وكان يؤمه العلماء من مختلف البلدان، ويلقون دروسًا فيه، ومّمن أمَّ المسجد الأقصى للتدريس فيه خلال هذه الفترة سنة ١٣٠٣هـ - ١٨٨٥م الإمام الشيخ محمد عبده[٦٥]. واستمرت هذه الحركة بلا انقطاع خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، ومن أشهر علمائه فى هذه الفترة: أسعد الإمام، وعبد الرزاق العفيفى، ويعقوب البديرى، وعبد القادر أبو السعود[٦٦].

وكانت موضوعات التدريس فى العصر العثمانى فى القدس تدور حول العلوم الدينية بفروعها المختلفة، وخاصة علم الفقه الذى احتل المقام الأول سواء فى التدريس أم التأليف، وكذلك التصوف الذى حظى بإقبال كبير على تدريسه أو ممارسته، «فكبار الشيوخ والفقهاء كان أغلبهم صوفيين، من أمثال العلمى، الدجانى، الجوهرى، الخليلى، البديرى»[٦٧].

ويلاحظ بصفة عامة على المؤلفات التى وضعت خلال هذه الفترة أنها تنقصها روح الابتكار والأصالة، وأن العلماء والمثقفين ظلوا يعتمدون -

إلى حد كبير - على كتب الأسـلاف السابقين، يشرحونها ويختصرونها ويضعون حواشـى وذيولا لها. كذلك يلاحظ علـى الموضوعات التى طرقها المؤلفـون خلال هذه الفترة أنها لم تكن جديدة، وكانت مكررة لموضوعات العصور السـابقة، وهذا ما يشـير إليه فهرس مخطوطات مكتبة المسجد الأقصـى الذى يضـم حصيلة المخطوطـات المتوارثة من العصـر العثمانى أساسًا[٦٨].

الفترة الرابعة: القرن العشرين (١٩١٧ - ١٩٩٨):

شـهد هذا القرن أحداثا جسـاما أثرت على المنطقة العربية بأسرها وخاصة فلسـطين ومدينة القـدس على وجه الخصـوص، فبعد اندلاع الحرب العالمية الأولى عـام ١٩١٤ وإعلان الدولة العثمانية وقوفها إلى جانب ألمانيا أخذت دول الحلفاء تتفق فيما بينها لتقسيم ممتلكات الدولة العثمانية، وبدأت بريطانيا بالتفكير فى السيطرة على فلسطين.

وقد تمكـن الجيش البريطانى بقيادة الجنـرال «إدموند اللنبى» من احتلال كافة الأراضى الفلسطينية خلال الفترة الممتدة من تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٧ حتى تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٨[٦٩]، وهكذا انتهى الحكم العثمانى لفلسطين بعد حكم امتد نحو أربعمائة سنة.

وبنهايـة عام ١٩١٨ وبانتهـاء الحكم العثمانى لفلسـطين أصبحت البلاد تدار بإدارة عسـكرية بريطانية اتخذت مـن مدينة القدس مقرا لها. وفى مؤتمر سـان ريمو عام ١٩٢٠ قرر المجلس الأعلى للحلفاء منح

بريطانيا حق الانتداب على فلسطين، وبناء على ذلك عينت الحكومة البريطانية السير «هربرت صموئيل Samuel» Herbert الصهيونى البريطانى مندوبا ساميا على فلسطين وحولت الإدارة العسكرية إلى إدارة مدنية(٧٠).

واستمر الانتداب البريطانى على فلسطين حتى ١٤ مايو ١٩٤٨، وخلال تلك الفترة تغيرت الأوضاع والأحوال السياسية والاقتصادية والعسكرية والتعليمية فى كل أنحاء فلسطين، وما يهمنا هنا هو التعرف إلى معالم الأوضاع التعليمية والعلمية فى مدينة القدس.

حققت بريطانيا باحتلالها لمدينة القدس فى ٩ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٧، أهداف الأوروبيين المتمثلة فى التحكم فى مسار الحياة العلمية والتعليمية فى المدينة، وجاء تفويض «عصبة الأمم» لبريطانيا بإدارة المدينة بمثابة مدخل لتحقيق هذه الأهداف.

وقبل بيان الحالة العلمية والتعليمية فى القدس خلال فترة الانتداب البريطانى، تجدر الإشارة ابتداء إلى بيان هذه الحالة قبل مجيئ هذا الانتداب، فتفيد إحدى الدراسات الحديثة أنه فى عام ١٩١٠ كانت فى متصرفية القدس (٥٢٨) مدرسة رسمية وخاصة، وفى إحصائية أخرى تذكر هذه الدراسة أن عدد المدارس عام ١٩١٤ كان على النحو التالى: (٩٥) مدرسة ابتدائية رسمية، ثلاث مدارس ثانوية، وفى أثناء الحرب العالمية الأولى افتتحت مدرسة ثانوية فى القدس كتنازل أمام

الشعور القومى العربى وإرضاء له، أما المدارس الخاصة فبلغ عددها فى نفس العام (٣٦٩) مدرسة إسلامية، كان معظم هذه المدارس عبارة عن كتاتيب فى المساجد أو فى بنايات عامة[٧١].

وظل نظام التعليم التركى معمولاً به فى مدارس القدس حتى عام ١٩٢٠، وكان هذا النظام يتلخص فى ثلاث مراحل على النحو التالى[٧٢]:

١ - ابتدائى ومدته ست سنوات.

٢ - إعدادى ومدته ثلاث سنوات.

٣ - سلطانى ومدته ثلاث سنوات وبه يختتم التعليم الثانوى ويبدأ التعليم الجامعى.

والجدير بالذكر أن هذا النظام مأخوذ عن نظام التعليم فى فرنسا. ثم قامت حكومة الانتداب البريطانى بأول عمل مهم من أجل التعليم فى القدس، وهو تأسيس دار للمعلمين سنة ١٩٢٠ تتولى تدريب المعلمين للمدارس الابتدائية فى جميع أنحاء فلسطين، ثم قامت بعد ذلك بوضع نظام جديد للتعليم يتلخص فى خمس مراحل على النحو التالى[٧٣]:

١ - مدارس الحضانة وبساتين الأطفال حتى السادسة من العمر.

٢ - التعليم الابتدائى الأول ومدته خمس سنوات.

٣ - التعليم الابتدائى الثانى ومدته سنتان.

٤ - التعليم الثانوى الأول ومدته سنتان.

٥ - التعليم الثانوى الثانى ومدته سنتان.

وبانتهــاء التعليم الثانــوى يتقدم الطلاب لاجتيــاز امتحان التعليم العالى، وقد تأســس عــام ١٩٢٣ «مجلس التعليم العالى الفلسـطينى» ليشـرف على هــذا الامتحــان[٧٤]. وكان الطــلاب الناجحــون فى هذا الامتحان يلتحقــون بالتعليم الجامعى - وقتئــذ - فى جامعات الدول المجــاورة لفلســطين مثل لبنان وســوريا ومصر، حيــث لا يوجد تعليم جامعى فى فلســطين طوال القرن العشــرين إلا ابتداء من سبعينات هذا القرن.

وكان أهداف التعليم فى فلسطين خلال فترة الانتداب تتلخص فى[٧٥]:

١ - تعليم شامل لإزالة الأمية إزالة دائمة.

٢ - التعليم من أجل كسب العيش.

٣ - إعداد المواطن الفلسطينى الصالح.

وكان الاحتــلال البريطانى يرمى من وراء هــذا الهدف الأخير إلى إعــداد المواطن الفلســطينى القانــع، الذى لا يتورط ولا يهتم بمشــاكل وطنه، كى يتقبل الوطن القومى لليهود فى فلسطين.

واســتمرت الحالة التعليمية فى القدس علــى هذا النحو، بل كانت تزداد ســوءًا يومًا بعد يــوم، حتى تقلص عدد المــدارس الحكومية فى المدينة ليصبح تسـع مدارس حكومية فى العام الدراسى ١٩٣٧/ ١٩٣٨، واســتمر عدد المدارس الحكومية فى القدس حتى عام ١٩٤٥ كما هو[٧٦].

أما المدارس الخاصة فبلغ عددها (٧) مدارس إسـلامية فى مقابل (٤٠) مدرسة مسيحية[٧٧].

مـن خلال العرض السـابق الموجـز للحالة التعليميـة والعلمية فى مدينـة القدس، يتبين لنا بوضوح مدى ما وصلـت إليه هذه الحالة من سـوء واندثار فى ظل الظروف التى عاشـتها المدينة، مما كان له الأثر السلبى المباشر على المكتبات فى القدس فيما بعد.

بقى من المسيرة العلمية والتعليمية فى القدس خلال القرن العشرين مرحلتان، مرحلة الوحدة حينما شكلت الضفة الغربية بما فيها القدس جزءًا مـن الأردن، ومرحلة الاحتلال الإسـرائيلى الـذى بدأ منذ عام ١٩٦٧ ولازال جاثمًا على صدرها (القدس) حتى يومنا هذا.

ولسـت فى سـبيل عرض ومناقشـة ما قدمه الأردن من خدمات علمية وتعليميـة للقـدس، أو ما سـببه الاحتلال مـن أضرار، فـإن هذا وتلك يحتاجان إلى بحث كامل، لذا أشـير إشارة يسيرة إلى بعض ما حدث من قضايا علمية وتعليمية فى هاتين المرحلتين، كانت لها أثرها المباشر على المكتبات فى القدس فيما بعد.

فى ١٤ مايـو ١٩٤٨ أعلنت بريطانيا إلغاء انتدابها على فلسـطين، وفى ١٥ مايو من نفس العام تم إعلان قيام إسرائيل، وتم الاعتراف بها كدولة من قبل كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السـوفيتى، وفى ١٢ مايو ١٩٤٩ تم قبول عضوية إسرائيل فى الأمم المتحدة[٧٨].

ولابـد مـن القول هنـا بأن قيـام إسـرائيل يعود بالدرجـة الأولى إلـى الجهود التى بذلتهـا الحكومة البريطانية طـوال فترة انتدابها على فلسـطين، فقد سـخرت معظم القوانين والأنظمـة التى أصدرتها فى فلسـطين لصالح اليهود حتـى تمكنهم من السـيطرة على الأراضى الفلسـطينية والتحكـم فى المـوارد الاقتصادية للبـلاد، وقد غدت هذه السياسة مبدءًا أساسيًا التزمت به حكومة الانتداب.

واغتصبت إسـرائيل القـدس الغربية تمامًا وضمتهـا إليها منذ عام ١٩٤٨، أما القدس الشـرقية – وبها المقدسات الدينية – فوضعت تحت إشـراف الأردن، وحافظت الأردن على القدس، فقامت بإعمار المسجد الأقصى والمقدسـات الإسـلامية الأخـرى، وترميم الآثار الإسـلامية، وإنشـاء المدارس والمعاهد فى القدس، وتصاعدت الصحوة الإسـلامية، وانتعشـت الحياة العلمية والتعليمية نتيجة دعم الأردن للمؤسسـات التعليمية والثقافية بالقدس.

وفى عام ١٩٦٧ حدثت النكسـة أو الهزيمة العربية الكبرى، حيث شـنت إسـرائيل الحرب على الدول العربية، وقامت باحتلال سـيناء والجولان والضفة الغربية وقطاع غزة والقدس الشرقية.

ومنذ هذا التاريخ وتمارس السـلطات الإسرائيلية كافة أشكال القمع والتمييز العنصرى ضد المواطنين الفلسـطينيين، ومست هذه الممارسات كافة جوانب الحياة ومنها الجانب التعليمى.

وتتعـرض مدينـة القدس منذ عـام ١٩٦٧ وحتى يومنـا هذا لأنواع شـتى من الانتهاكات، فى محاولة تهويد المدينة المقدسـة - بما تمثله من قيـم ورموز دينية وتاريخية وحضارية لملايين المسـلمين فى أنحاء العالم - وتغيير معالمها الفريدة وطابعها المقدس، فقد قامت السـلطات الإسـرائيلية باتخاذ عدة قرارات متعلقة بشـئون التعليم، منها إلغاء جميـع البرامج التعليميـة الأردنية المطبقة فى مـدارس مدينة القدس واستبدالها بالبرامج المطبقة فى المدارس العربية داخل فلسطين المحتلة ١٩٤٨، كما قامت هذه السـلطات بتزييـف الحقائق التاريخية وطمس العقيدة الإسـلامية وتشـويهها. ولكن تأييد مواطنـى القدس للمناهج العربيـة والأردنية ودفاعهم عـن نوعية التربية التـى يجب أن تقدم لأبنائهم، جعل السـلطات الإسـرائيلية تتراجع عن قرارها وتم إعادة المناهـج الأردنية إلى المـدارس، غير أن هذه السـلطات أصرت على أن يدرس الطلاب اللغة العبرية ومساقًا آخر حول المجتمع الإسرائيلى إلى جانب المناهج الأردنية(٧٩).

ومنذ اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الأولى فى ٩ يناير (كانون الثانى) عام١٩٨٧، والسـلطات الإسـرائيلية تحاول عرقلة التعليم فى فلسطين بشـكل عام والقدس بشـكل خاص، بأقسى الوسـائل وأشدها وذلك عن طريق الإغلاق القسـرى للمـدارس والجامعات واسـتخدامها كثكنات عسكرية ومحاصرتها واقتحامها.

أمـا عن الحالـة التعليميـة والعلمية فـى القدس منذ التسـعينات - مرحلة السـلام - وخاصة بعد اتفاقية أوسـلو عـام ١٩٩٣، فتميزت باشتداد الهجمة الإسرائيلية على مؤسسات التعليم والمؤسسات الأخرى العاملة فى مدينة القدس الصامدة.

وتبذل سـلطات الاحتلال الإسـرائيلى جهـودًا مكثفـة ومتواصلة لخلق أوضاع قانونية ونفسـية فى القدس العربيـة وما حولها، تجعل من الصعب إن لم يكن من المسـتحيل على الفلسطينيين أن يحافظوا على وجههـا العربى والإسـلامى. من هذه الجهود محاولـة تهويد المدينة ومصادرة الأراضى وتطويقها بمجموعة من المسـتوطنات الكبيرة، حتى زاد عدد اليهود القاطنين فى القدس الشرقية (المدينة العربية) عن مائة وخمسين ألف نسمة[٨٠].

أما عـن التعليم العالى فـى القدس فتوجد مؤسسـتان هما: جامعة القـدس وجامعـة القـدس المفتوحـة، بالإضافـة إلـى كليـة الحقوق الفلسطينية، وفيها ثلاث مؤسسات للتعليم العالى المتوسط (سنتان بعد التوجيهى) كليـة الإبراهيمية وكلية الأمة وكلية العلوم الإسـلامية، وهذه المؤسسـات جميعهـا تقدم خدماتها العلميـة والتعليمية لحوالى (٤٠٠٠) طالب وطالبة[٨١].

أما بالنسبة للمؤسسـات الدينية فى مدينة القدس - فى هذه الفترة عامة - وخاصة المسـجد الأقصى فحدث ولا حرج، حيث تقوم السلطات

الإســرائيلية بتهديد المقدسات الإســلامية الموجودة فى المدينة بالزوال والطمــس والهدم، عن طريق الحفريات التى تقوم بعثتان إســرائيليتان بحثا عن الهيكل المزعوم تحت مبانى الحرم القدســى الشريف وخاصة المســجد الأقصــى، والاعتداءات على الحرم القدســى الشــريف كثيرة ومســتمرة، ســواء عن طريق محاولات المتطرفين اليهود بالدخول إلى المســجد الأقصى والصــلاة فيه، أم عــن طريق الحفريــات التى تنهش أساســاته وقواعده، والمسلسل طويل وكبير ومستمر، ولا تزال تعشعش فى ذاكرتنا أحداث حريق المســجد الأقصى المبارك عام ١٩٦٩ الذى أتى علــى القبة ومنبر صــلاح الدين، وما تبع ذلك من مجــازر خلال أعوام ١٩٨٢، ١٩٨٤، ١٩٩٠، وآخرها الزيارة المشــئومة التى قام بها السفاح شــارون فى ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٠، حيث ســقط فوق ساحة المسجد الأقصى عشــرات الشــهداء ومئات الجرحى، وكانت ســببًا فى قيام الانتفاضة الفلســطينية الثانيــة - انتفاضــة الأقصــى - التى لازالــت قائمة ضد الاحتلال الإسرائيلى إلى يومنا هذا.

هذه صورة مبسطة وموجزة لما كانت عليه الأوضاع العلمية والتعليمية فى مدينة القدس خلال القرن العشــرين، وهى صورة مأساوية تعرضت لها المدينة المقدســة مــن مؤامرات التهدم الحضــارى والعلمى لطابعها وتراثها الفكرى المميز.

وخلاصة القول أن القدس احتلت منذ بداية التاريخ الإسلامى مكانة مميزة فى قلوب المسلمين، فهى مدينة الأنبياء الذى جاء الإسلام مصدقًا

لرســالتهم، وهى الأرض التى باركها الله تعالى، وهى فوق هذا وذاك أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، وإليها أسرى برسول الله - ﷺ - ومنها عرج إلى السموات العلا. وإزاء هذا الوضع كان من الطبيعى أن تلقى المدينة الرعاية والعناية من قبل الخلفاء والأمراء والحكام المسلمين على مر العصور.

وتؤكد كل الشـواهد أن المسـيرة العلمية والثقافية فى مدينة القدس بدأت منذ الفتح الإسـلامى لها واسـتمرت حتى يومنا هذا، ولكن تدل المؤشـرات الكثيرة علـى أن هذه المسـيرة لم تمض علـى وتيرة واحدة مـن الازدهار والرقـى والنضوج الفكـرى والثقافى، بـل تعرضت إلى هزات عنيفة ارتبطـت بالأجواء السياسـية والاقتصادية والاجتماعية والتعليميـة التى مرت بهـا مدينة القدس على مَـرِّ تاريخها الطويل، فكانـت تزدهر أحيانًا وتخبـو أحيانًا أخرى، ولكن سـراجها العلمى وإشـعاعها الدينى لـم ينطفئا أبدًا علـى مر الأيام والسـنين، بل كانا وراء نشـر الثقافة الدينية والعلمية فى طـول البلاد وعرضها، وعصب التماسـك الفكرى والحضارى بين أبناء العالم الإسلامى عامة وفلسطين خاصـة والقدس على وجه الخصـوص، وإن تغير الزمان وتباين المكان، وكانا أخيرًا مصدر بناء قوى لأهم دعامة من دعائم الحضارة الإسـلامية ألا وهى المكتبات.

الفصل الثانى

مكتبة المسجد الأقصى: النشأة والتطور

يحاول هذا المبحث بالدراسة والتحليل تقصى وتتبع نشأة مكتبة المسجد الأقصى، مع إعطاء صورة عن تطورها خلال مسيرتها التاريخية التى بدأت مع الفتح الإسلامى للقدس حتى عصرنا الحالى، من أجل الكشف عن التاريخ المكتبى الذى كانت تمثله هذه المكتبة فى سيرتها الأولى، والذى بلغ درجة عالية من النضج، قل أن يبلغه كثير من المكتبات القائمة فى أيامنا هذه. ولما كانت مكتبة المسجد الأقصى - وهى بؤرة الاهتمام هنا - تصنف تحت مكتبات المساجد كمكتبة نوعية، فقد اقتضى الأمر إعطاء صورة ولو موجزة - فى بداية هذا المبحث عن نشأة مكتبات المساجد فى فلسطين بصفة عامة.

كان وسيظل للكتاب مكانة أثيرة فى الحضارة العربية الإسلامية، فالكتاب كما قال عنه الرسول i هو «قيد العلم»، وقد كان إقبال المسلمين على العلم فى عصور حضارتهم إقبالاً عظيمًا، فلا غرو أن أحتل الكتاب المنزلة الرفيعة وأغدقوا عليه فيضًا من المحبة والاحترام.

وقد كان وسيظل للمكتبات دور عظيم فى الحضارات الإسلامية فى مختلف الأقطار والأمصار، وكانت من مفاخر هذه الحضارة، باعتبارها

إحدى دعائمها والأســاس الأول فى بنائها، فالمكتبات هى المؤئل الأول الذى تئول إليه الكتب، يحتضنها وتسكن فى جنباته.

وحضارة فلســطين جزء مــن الحضــارة العربية والإســلامية، فقد أســهمت بنصيــب وافر فى بناء هذه الحضارة، بمــا قدمته من مؤلفات ومصنفات لعلمائها ورجالاتها فى جميع مجالات المعرفة الإنسانية.

ويرتبــط تاريخ المكتبات فــى الحضارة العربية الإســلامية ارتباطًا وثيقًــا بالإســلام، حيث أولت هــذه الحضــارة اهتمامًا كبيــرًا بالعلم والحــض عليه وتكريم أهله من العلمــاء والأدباء والمفكرين، فمنذ فجر الإســلام اتخذ المسلمون المسجد مكانًا للدراســة والتعليم «ودور المسجد فــى التثقيف العلمى مــن الأدوار المخصبة فى حياة الأمة الإســلامية، ويبدو أن العلماء والمشــرعين لم يجدوا أمنًا ولا طمأنينة فى تفهم لكتاب الله وسنة نبيه إلا فى ظلال المساجد»[٨٢]. ولما كانت الكتب ركنًا أساسيًا من أركان العملية التعليمية، فقد احتفظت المســاجد بمجموعة من هذه الكتب،وكانت المصاحف أول الكتب التى توضع فى المساجد. فقد جرت العــادة ولاتزال أن يودع بعض وجهاء الناس وعلية القوم فى المســاجد عددًا من نســخ القرآن الكريم وعــددًا آخر من الكتــب الدينية، لإفادة المطالعين والمصلين من رواد هذه المساجد.

«ومن الواضح أن مكتبة المســجد ظهرت للوجود منذ اتخذ المســلمون المســجد مكانًا للدراســة، ذلك لأنه لا دراسة بدون كتب، وإذا علمنا أن الدراســة على مختلف مراحلها وبأغلب فروعها كانت تتم فى المســجد

والجامــع، وذلك حتى زمن قريب من عهدنــا الحاضر أمكننا أن ندرك أهميــة المكتبة الملحقة بالمســاجد، وأن أغلب المســاجد وخاصة الهامة منهــا كانت ولاتزال تمتلك مكتبة خاصة، وهذه المكتبة لا تحتوى كتبًا دينية فقط وإنما بالإضافة إليها كتبًا فلسفية وعلمية»[٨٣]. ومن ثم يمكن القول بأن هذا النوع من المكتبات يعتبر أول المكتبات نشأة فى الإسلام، ويهدف إلى خدمة مجتمع المسجد من المصلين فضلاً عن نشر الثقافة بين أفراد المجتمع المحلى.

وهذا الوضع نجده فى المساجد الكبرى فى الحجاز والعراق وفلسطين ومصــر وتونس والأندلس، والتى غدت معاهــد دينية وجامعات علمية فى أوســع معانيها، لهــا طابعها ونظمها وثقافتهــا وتقاليدها العلمية الراســخة، ولكل منهــا مكتبة ضخمة تضــم أمهات الكتــب ونفائس المخطوطات.

وبدأ ظهور مكتبات المساجد فى فلسطين مع إنشاء المساجد بها، وبدأ إنشاء المساجد بها عقب الفتح الإسلامى للبلاد مباشرة فى عهد الخليفة عمــر بن الخطاب، فكان كلما فتح مدينة من مدن فلســطين مثل نابلس ويافا وغزة والقدس... الخ، أقام بها مســجدًا، وهكذا كثر عدد المساجد فى فلســطين، وقامت هذه المساجد بتأدية خدمات كثيرة، أهمها حفظ اللغة العربية ونشر الثقافة الإسلامية فى أرجاء فلسطين.

والمتتبــع لتاريــخ النهضة المكتبية فى فلســطين يجــد أن مكتبات المســاجد هى المكتبات الأولى التى عرفتها فلسطين الإسلامية، وتقف

علــى قمة هــذه المكتبات خزائن المســجد الأقصى فــى مدينة القدس، وقبل الحديث عن تاريخ هذه الخزائن يلزم الأمر إعطاء لمحة يســيرة عن مكتبات بعض المســاجد الكبرى فى فلســطين، كالمكتبة الأحمدية فــى عكا، ومكتبة الحرم الإبراهيمى فــى الخليل، ومكتبة جامع يافا الكبير، ومكتبة مسجد الحاج نمر النابلسى فى نابلس، وهذه المكتبات من أشــهر مكتبات المساجد فى فلســطين وأعرقها والتى كان لها الدور الثقافى المميز فى تاريخ فلسطين وحضارتها.

١ - المكتبة الأحمدية فى عكا:

أنشــأ أحمد باشــا الجزار والى عكا مســجدًا فخمًا سنة (١١٩٦هـ/ ١٧٨١م)، ويعتبر هذا المسجد من أجمل المساجد فى فلسطين عامة، وبه يتجلى الفن الإســلامى فى أبدع مظاهره، وألحق الجزار بهذا المســجد مدرسة دينية ومكتبة وهى التى تسمى الآن «المكتبة الأحمدية» وكانت المكتبة تتألف من الكثير من الكتب النفيسة والمخطوطات التى انتزعها الجــزار فى أثناء ولايته من خزانة خير الدين الرملى مفتى الرملة[٨٤]. وقــد جردت محتويات هذه المكتبة وصنفت كتبها فبلغ عددها (١١٩٩) كتابًا، منها (٤٨٨) فى التفسير والحديث والقصص النبوية و (٦٩) كتابًا فى اللغة والتصوف والآداب، والكتــب الباقية فى التاريخ والجغرافيا وغيرهــا من العلــوم[٨٥]. هذا بالإضافة إلــى (٥٠٠) مخطوطة من أنفس المخطوطات[٨٦]. ولكن الجرد الأخير للمكتبة ســنة ١٩٨٣، أظهر أنه لم يعد فيها سوى ثمانى مخطوطات فقط[٨٧].

٢ - مكتبة الحرم الإبراهيمى فى الخليل:

يقع المسجد الإبراهيمى جنوب شرق مدينة الخليل فى فلسطين المحتلة، وهذا المسجد من المساجد القديمة فى ديار الإسلام، وقد حوى مكتبة كبيرة منذ زمن صلاح الدين الأيوبى. وتضم المكتبة نحو (١٢٦٩) كتابًا معظمها فى علوم الدين: القرآن وعلومه، والحديث النبوى الشريف، والفقه وأصوله، والتوحيد والتصوف، بالإضافة إلى موضوعات النحو والصرف والمنطق. كما تضم (١٤٠) مخطوطة فى علوم الدين الإسلامى من قرآن وتفسير وفقه وتوحيد، كما بها مجموعة من المصاحف الأثرية[٨٨]. وفى عام ١٩٧٦ قام اليهود أثناء وجودهم فى المسجد الإبراهيمى بعد أن دخلوه عنوة، وفرضوا منع التجول، قاموا بأعمال تخريبية مختلفة منها سرقة عدة مصاحف أثرية ومخطوطات[٨٩].

٣ - مكتبة جامع يافا الكبير:

أسس جامع يافا الكبير الشيخ محمد بيبى سنة ١١٥٨هـ/ ١٧٤٥م وعمّره حاكم يافا مير محمد أغا سحور المعروف بابى نبوت سنة ١٨١٠م، وقد ألحق محمد أغا أبو نبوت بالجامع مكتبة ضخمة تبلغ نحو ألف مجلد من الكتب والمخطوطات النفيسة، أكثرها فى العلوم الدينية واللغة العربية، ومعظم مخطوطاتها - كغيرها من مخطوطات

المكتبات القديمة - تعرضت للضياع والتبديد، وما تبقى منها إلا(٣٣٩) مخطوطة معظمها فى الفقه وأصوله والتوحيد والتفسير[٩٠].

٤ - مكتبة مسجد الحاج نمر النابلسى بنابلس:

أنشأ الحاج نمر بن حسن النابلسى هذا المسجد سنة ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م. ويعتبر هذا المسجد من أشهر وأكبر مساجد المدينة، وله مكتبة ضخمة، بلغ عدد مجلداتها عام ١٩٤٤ نحو (١٦٠٠) مجلد بين مطبوع ومخطوط فى علوم الدين الإسلامى واللغة العربية والتاريخ[٩١].

هذه اللمحة التاريخية الموجزة لمكتبات المساجد فى فلسطين أردت بها بيان الماضى العريق والدور الثقافى الكبير الذى أدته تلك المكتبات كجزء من منظومة المكتبات الفلسطينية، ويلاحظ فى الوقت الحاضر أن هذه المكتبات المسجدية - كغيرها من المكتبات الفلسطينية - تعانى واقعًا مريرًا حيث إن الكثير من مقتنياتها تعرض للسرقة والضياع والتلف نتيجة عوامل الجو والزمن، فضلاً عن معاناة البلاد بما فيها المكتبات، من الحصار الإسرائيلى والتدمير الصهيونى المتعمد لكل رموز وهوية الثقافة الإسلامية فى فلسطين. لذا فالمطلوب هو المزيد من الدعم والاهتمام بإحياء مجد تلك المكتبات العريقة، عن طريق رصد الميزانيات المناسبة لشراء مصادر المعلومات، وتجهيز هذه المكتبات بالأجهزة اللازمة للحفاظ على مخطوطاتها، وأخيرًا الإشراف عليها من قبل أشخاص مؤهلين.

وأخيرًا تقف على قمة مكتبات المساجد مكتبة المسجد الأقصى عبر تاريخها الطويل، ذات الشهرة العريقة والتاريخ التليد، والتى واكبت المد الحضارى الإسلامى وعكست صورته بكل الشموخ فى كل أنحاء العالم الإسلامى، وهذا هو موضوع العنصر التالى.

٢/ ٢ نشأة مكتبة المسجد الأقصى:

اتضح مما سبق أن مكتبات المساجد هى المكتبات الأولى التى عرفتها مدن فلسطين بما فيها مدينة القدس، وكان أهم مكتبات المساجد فى القدس هى «خزائن المسجد الأقصى»، فقد كان المسجد الأقصى كغيره من المساجد الكبيرة فى الأقطار الإسلامية مركزًا للحياة الفكرية ومدرسة لتدريس العلوم، سواء أكانت علوما دينية أم علوما دنيوية، ولا يمكن أن تنتعش الحياة العلمية والفكرية فى رحاب المسجد دون وجود مكتبة تضم أمهات الكتب ونفائس المخطوطات، ومن هنا بدأت البواكير الأولى لمكتبة المسجد الأقصى، وتطورت على مر العصور ابتداء من الفتح الإسلامى للقدس حتى يومنا هذا، وقبل أن نمضى فى سرد تاريخ هذه المكتبة خلال فترات تاريخها الطويل، تجدر الإشارة إلى الأسماء والمصطلحات التى سميت بها على مدى هذا التاريخ. وهذه الأسماء والمصطلحات كانت تطلق على المكتبات العربية فى حقب التاريخ المختلفة - وقد حصر البعض[٩٢] هذه الأسماء فى الكلمات:

١ – بيت الحكمة.
٢ – خزانة الحكمة.
٣ – دار الحكمة.
٤ – دار العلم.
٥ – دار الكتب.
٦ – خزانة الكتب.
٧ – بيت الكتب.

وفى هذه الكلمات السبع توجد ست كلمات مختلفة هى: بيت – خزانة – دار – حكمة – علم – كتب، وتشير الثلاث الأولى منها إلى أنواع أمكنة، بينما تدل الكلمات الثلاث الأخرى على موضوع هذه الأمكنة، وتصلح لوصفها، ولكل واحدة من هذه الكلمات قيمتها الخاصة، وأنها تحدد مجتمعة اثنتين اثنتين طابع المكتبات المختلفة.

وقد سميت مكتبة المسجد الأقصى – على مدى تاريخها الطويل – بالأسماء التالية: خزانة الكتب – دار الكتب – مكتبة، فالأولى تدل على مدى الحرص على الكتب، والثانية تدل على ضخامة الكتب المقتناة والثالثة تدل على الاستعمال العصرى. وفى الفقرات التالية عرض مبسط للمراحل والفترات الزمنية التى مرت بها مكتبة المسجد الأقصى على اختلاف مسمياتها.

الفترة الأولى: من الفتح الإسلامى حتى نهاية العصر الفاطمى:

تعود نشأة خزانة المسجد الأقصى إلى القرنين الثالث والرابع الهجريين على التوالى، وهذا ما أشارت إليه بعض النصوص التاريخية التى تتعلق بمكتبة المسجد الأقصى.

وأول هــذه النصوص ما ذكره ابــن الفقيه في كتابه البلدان الذى ألفه ســنة ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م، أنه كان فى المســجد الأقصى في زمنه «ستة عشر تابوتًا (أى صندوقًا) للمصاحف المسبّلة (أى وقف لله)، وفيها مصاحف لا يستقلّها الرجل»[٩٣].

وثمــة نص آخر ذكره ابن عبد ربه المتوفى ســنة ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م فى كتابــه العقد الفريد «وفيه (أى فى المســجد الأقصى) ســبعون مصحفًا، وفيه مــن الكبار التى فى الورقة منها جلد ســتة مصاحف على كراس تجعل فيها»[٩٤].

ومن خلال تحليل هذين النصين يمكن أن نستخلص بعض الحقائق على النحو التالى:

١ - تمثلــت البواكير الأولى لمكتبة المســجد الأقصى فى وجود توابيت (صناديق) خصصت لحفظ المقتنيات فيها.

٢ - أهــم ما كانت تضمــه هذه التوابيت (المكتبة) مــن مقتنيات كانت نســخ القرآن الكريم، التى كانت توضع فى المســجد أو توقف عليه أو تهدى إليه.

٣ - كانت المصاحف النواة الأولى لخزائن المسجد الأقصى.

وهناك نص آخر يتعلق بالمسجد الأقصى ككل وبه إشارة إلى خزائنه من المصاحف، وقد أورد هذا النص محمد على بن ميّســر المتوفى ســنة ٦٧٧هــ/ ١٢٧٨م. وذكره فيليب دى طرازى فى كتابه الموســوم «خزائن

الكتب العربية فـي الخافقين». يقول ابن ميّسـر «إن الإفرنج حاصروا بيت المقدس في رجب سـنة ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م، وكانوا قد ملكوا الرملة، فخرج إليهم الأفضل في عسـاكره، فلما بلغ الفرنج خروجه، جدّوا في حصـار بيت المقدس حتى ملكوه، فهدموا المسـاجد وقبر الخليل وقتلوا أهل البلد جميعهم إلا اليسـير وانحازت طائفة إلى محراب داوود عليه السلام، وأحرقوا المصاحف وأخذوا من الصخرة ما لا ينحصر من قناديل الفضة والذهب والآلات»[٩٥].

من خلال تحليل هذا النص يمكن رصد المؤشرين التاليين:

١ - وجود مصاحف في المسجد الأقصى كنواة لخزانة المسجد ولم يحدد النص عددها، وإن كان يشتم منه أنها كثيرة.

٢ - أن أكبـر كارثـة حلـت ببيـت المقـدس هي مـا قام بـه الإفرنج (الصليبون) من قتل الناس وتدمير كل شيء في بيت المقدس ومنها حرق المصاحف الموجودة بالمسجد الأقصى.

هذه بعض الإشـارات التاريخية القليلة - نتيجة ندرة المصادر عن هذه الفترة - والتي تؤكد على وجود مكتبة بشكل ما في المسجد الأقصى سـواء أكانت على شـكل تابوت أم خزانة، وأنها تمثل البواكير الأولى لمكتبة المسجد الأقصى أو مرحلة البدايات، حيث تطورت فيما بعد على مر العصور.

ويجب أن نذكر هنا في خلال هذه الفترة، أن الفاطميين أنشـئوا دار علم في القدس الشـريف أيضًا، هدفهـا الظاهر علمي مثل نظيرتها في

القاهرة، وكان مقر هذه الدار كنيسة القديسة حنّة (القديسة حنّة هى أم مريم بنت عمران أم سيدنا عيسى عليه السلام) التى حولها صلاح الدين الأيوبى فيما بعد إلى مدرسة للشافعية، وأغلب الظن أن هذه الدار كانت تضم مكتبة لزوم الدراسة بها، ولما ملك الفرنجة القدس سنة ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م أعادوها كنيسة وطردوا الفاطميين منها[٦٥].

وعلى أية حال فقد حاولنا فى الفقرات السابقة تلمس البواكير الأولى لمرحلة النشأة لمكتبة المسجد الأقصى خلال تلك الفترة، التى غشاها عدم وضوح رؤية - آنذاك - لمفهوم خزانة الكتب، فلم يتبلور هذا المفهوم أو يتحدد معناه مثل ما نجده فيما بعد من فترات.

الفترة الثانية: وتشمل العصرين الأيوبى والمملوكى:

قبل رصد تاريخ مكتبة المسجد الأقصى فى هذه الفترة، تجدر الإشارة إلى أنه كان يطلق عليها وقتئذ اسم «خزانة أو خزائن» كما يطلق على سائر مكتبات العالم الإسلامى. وذلك أن الكتب الموضوعة فى خزائن كانت هى «المكتبة»، وأما قاعات المطالعات المخصصة لرواد المكتبة من القراء والباحثين فلم تكن معروفة بشكل واضح كما هى معروفة الآن، ففى مكتبات المساجد - والتى تقف على قمتها مكتبة المسجد الأقصى بكل شموخ وفخر - كانت الكتب تخرج من الخزانة لتقرأ فى أية ناحية من أنحاء المسجد، ثم تعاد إلى الخزانة مرة أخرى تحت إشراف الخازن، وهو يقوم مقام «أمين المكتبة» فى أيامنا هذه. لذا سادت كلمة «خزانة الكتب» أو «خزائن الكتب» لتدل على المكتبة فى هذه الفترة.

وتعتبر هذه الفترة من أخصب الفترات التى مرت بها «خزانة المسجد الأقصى» فابتداء من القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى أخذت تتبلور ملامح جديدة للحركة المكتبية فى فلسطين عامة وفى مدينة القدس خاصة، حيث شهد عصر الأيوبيين والمماليك نهضة علمية كبيرة وحركة فكرية موارة، تمثلت هذه وتلك فى مظاهر متعددة، منها البدء فى إنشاء المدارس وكثرة إنشاء المساجد وتعميرها فى مختلف أنحاء البلاد، واستقطاب عدد كبير من العلماء سواء من فلسطين أم من خارجها للتدريس فى المسجد الأقصى، كانوا أساتذة زائرين لو جاز لنا استخدام مصطلحات العصر، كذلك نشطت حركة التأليف وراجت الكتب وازداد عددها كمًّا وتباينت موضوعاتها نوعًا.
كل هذا النشاط الفكرى أدى إلى إغناء المكتبات، والعناية بها والاهتمام بأمورها، فى هذه الأجواء نشطت الحركة المكتبية نشاطا ملحوظا وتطورت تطورا مشهودا فى القدس، ومن الملامح البارزة لهذا التطور نمو ملحوظ فى مكتبات المساجد وخاصة مكتبة المسجد الأقصى.

وكان -ولايزال- المسجد الأقصى مركزًا للحياة الفكرية وجامعة إسلامية لتدريس العلوم ولاسيما العلوم الإسلامية، ولا يمكن أن تنتعش وتنشط الحياة الفكرية وتؤتى ثمارها - التى كان مركزها المسجد الأقصى - دون وجود مجموعات مناسبة كمًا ونوعًا من الكتب والمخطوطات، وفى مقدمتها القرآن الكريم وكتب الحديث والتفسير والفقه.

وهكذا « تطورت خزائن المسجد الأقصى بمرور الوقت، فأصبحت تضم آلاف الكتب التي تُبحث، فضلاً عن العلوم الدينية الأساسية، في علوم العربية والتاريخ والأنساب والميقات والمنطق، ومنها مؤلفات المدرسين الذين عملوا في المسجد الأقصى على مدى العصور»[97].

من خلال تحليل هذا النص نستنتج مايلي:

١ - ضخامة مقتنيات مكتبة المسجد في هذه الفترة.

٢ - موضوعات هذه المقتنيات تتمركز حول العلوم الشرعية بفروعها واللغة العربية بعلومها، هذا بالإضافة إلى التاريخ والحساب والفلك والمنطق.

٣ - كان الإيداع - في هذه الفترة المبكرة - يمثل أحد مصادر بناء مجموعة المكتبة، وهو حصيلة ما أودعه المدرسون من مؤلفاتهم في المكتبة.

ومن أهم المؤلفات التي أودعها هؤلاء مدرسون كتب فضائل بيت المقدس، ومنها كتب كثيرة كتبت في القدس، وكانت من جملة الدروس التي أمليت في المسجد الأقصى.

وقد ذكر السيوطي في مقدمة كتابه «اتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى» الكتب التي ألفت عن المسجد الأقصى في العصور الغابرة، وسمى الكتب التي نقل منها بقوله «مما كان في خزائن المسجد الأقصى» ككتاب مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام للمقدسي (ت ٧٦٥ هـ)

وكتاب باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس لابن اسحق الفزازى المعروف بابن الفركاح (ت ٧٢٩ هـ) وكتاب الجامع المستقصى فى فضائل المسجد الأقصى لابن عساكر (ت ٦٠٠ هـ) وغيرها كثير[٩٨].

وكانت ظاهرة وقف الكتب والمصاحف الشريفة منتشرة فى بيت المقدس، بل كانت أمرًا شائعًا فى معظم بلدان العالم الإسلامى بصورة تدعو إلى الفخر والزهو، حيث كانت تمثل مصدرًا من أكبر المصادر فى بناء مجموعات خزائن الكتب فى هذه الفترة، وخاصة خزائن المسجد الأقصى.

فقد مر من قبل أن صلاح الدين الأيوبى عندما فتح بيت المقدس أعاد حال الصخرة كما كانت وعين لها إمامًا حسن القراءة ووقف عليها دارًا وأرضًا وحمل إلى محراب المسجد الأقصى مصاحف وختمات وربعات شريفة[٩٩].

ومما وقف على المسجد الأقصى من مصاحف المصحف الذى كتبه السلطان أبو سعيد عثمان بن أبى يوسف المرينى ملك المغرب بخط يده وأرسله إلى المسجد الأقصى سنة ٧٤٥ هـ/ ١٣٤٤ هـ[١٠٠].

وكان من عادة سلاطين المماليك أن يضعوا المصاحف فى المسجد الأقصى ويقفوا أوقافًا على قارئ يتولى قراءتها، ومن هؤلاء الملك الأشرف برسباى الذى وضع مصحفًا كبيرًا فى المسجد الأقصى ووقف عليه جهة للقارئ والخادم وشرط النظر لمن يكون شيخ الصلاحية وقرر فى القراءة فيه الشيخ شمس الدين الرملى المقرئ[١٠١].

ويفيد الحنبلى أنه فعل الشىء ذاته بعد برسباى كل من: الملك الظاهر جقمق فوضع مصحفًا فى الصخرة المشرفة وجعل له قارئًا، والملك الأشرف إينال الذى وضع مصحفًا بالمسجد الأقصى ورتب له قارئًا ووقف عليه جهة، وكذلك الملك الظاهر خشقدم(١٠٢).

وإذا تركنا عملية الوقف كمصدر من مصادر بناء مجموعات خزائن المسجد الأقصى، نجد مصدرًا آخر لا يقل أهمية عن الوقف، ألا وهو الإهداء، حيث حرص كثير من العلماء والفقهاء خلال هذه الفترة على أن يرسلوا نسخة من مصنفاتهم كهدية إلى المسجد الأقصى لتحفظ فى خزائنه.

من هؤلاء - على سبيل المثال - الإمام موفق الدين أحمد بن يوسف الموصلى الكواشى المفسّر (ت ٦٨٠ هـ/ ١٢٨١م) الذى أرسل نسخة من كلا مصنفيه الكبير والصغير إلى القدس(١٠٣). وكانت هذه ا لنسخ تسمى باسم «نسخ القدس».

ويفهم من النصوص السابقة والإشارات التاريخية السالفة أن خزائن الكتب فى الحرم القدسى الشريف كانت موزعة بين المسجد الأقصى رقبة الصخرة، وخزائن المسجد الأقصى هى الخزانة المركزية الرئيسية، أما خزانة قبة الصخرة فكانت بمثابة الخزانة الفرعية، كما نذكر فى أيامنا هذه «المكتبة الرئيسية أو المركزية» و «المكتبة الفرعية». وكان لكل من الخزانتين بالمسجد الأقصى وقبة الصخرة

خزنة أو أمناء خاصون، فيذكر السخاوى أن شمس الدين محمد بن أحمد بن حبيب الغانمى المقدسى كان خازن الكتب فى المسجد الأقصى فى أواسط القرن التاسع للهجرة[١٠٤].

وممن تولى أمانة الكتب فى الصخرة المشرفة فى القرن الحادى عشر الهجرى الشيخ بشير الخليلى، وتشير الوثيقة الموجودة فى ملحق هذه الدراسة إلى وجود وظيفة بمسمى «أمانة الكتب فى الصخرة المشرفة»، وهذه الوثيقة مؤرخة بتاريخ ٥ صفر سنة ١٠٦٠ هـ، و بعد وفاة الشيخ بشير الخليلى تولى هذه الوظيفة - كما نصت الوثيقة - ولداه الشيخ إبراهيم، والشيخ عبد الرحمن سوية بينهما[١٠٥].

هذه صورة مبسطة لما كانت عليه خزائن المسجد الأقصى، عكست باقتدار مدى التقدم الحضارى والنهضة العلمية التى كانت عليها مدينة القدس خلال العصرين الأيوبى والمملوكى.

الفترة الثالثة: العصر العثمانى:

بدأت فى أوائل العصر العثمانى نهضة علمية واسعة النطاق فى البلاد التى فتحها العثمانيون، وكونوا منها ما يسمى «الإمبراطورية العثمانية»، وكانت فلسطين منها بما فيها مدينة القدس، واهتم سلاطين العثمانيين الأوائل بالعلم والعمل على نشره فى أرجاء هذه الإمبراطورية.

وكان من مظاهر هذا الاهتمام تزويد مكتبة المسجد الأقصى بالكتب والمصاحف، وكانت ظاهرة الوقف منتشرة خلال القرون الأولى من حكم

العثمانيين للقدس، وهذا يتجلى بوضوح لدى السلطان سليمان القانونى الـذى وقـف مصحفًا على المسـجد الأقصى وعين له قارئًـا معلوم قدره عثمانيان فى اليوم. كما وقف المصاحف على المسجد الأقصى أيضًا الوزير العثمانى سنان باشا فى القرن الحادى عشر الهجرى، وكذلك فعل ناظر الحربية العثمانى أنور باشا سنة ١٣٣٥ هـ[١٠٦].

وهكذا ظل المسجد الأقصى موضع اهتمام الحكام العثمانيين، وأصبح من أكبر المساجد الفلسطينية التى اشتهرت بحلقات التدريس فى العصر العثمانى، وكان يؤمه العلماء من مختلف البلدان ويلقون دروسًا فيه.

وعندمـا بدأ الضعف يدب فى أوصال الإمبراطورية العثمانية نتيجة للحروب التى خاضتها ضد أعدائها، وزاد هذا الضعف استفحالاً عندما بدأ الغزو الاسـتعمارى الأوروبى السياسـى والاقتصادى لها، كل هذه الأوضاع انعكسـت بالسـلب على أقطار الدولة العثمانية ومنها فلسطين بما فيها القدس.

وقـد أدى ذلـك إلى تخلف الوضـع العلمى والتعليمـى فى القدس، وانسـحب هذا بـدوره علـى خزائن الكتـب الموجودة فى المؤسسـات التعليمية وخاصة المساجد ومنها خزائن المسجد الأقصى.

ويذكر العسـلى أن هذه الخزائن نهبت ودمـر بعضها، وأن ما بقى من الكتب والمخطوطات التى كانت فى خزائن المسجد الأقصى وما حوله من مدارس هو نزر يسـير عما كان فى مرحلة الازدهار التى شـهدتها

هذه المؤسسات فى العصور السابقة، ويستطرد قائلاً: إن قصة هذه الكتب والمخطوطات قصة محزنة مثيرة للأسى العميق فقد ضاع قسم كبير منها وتلف قسم كبير آخر وسرق أيضًا قسم كبير أو بيع بأبخس الأثمان[١٠٧].

وثمة مجموعة من العوامل التى تضافرت فى صنع هذه المأساة، يمكن رصدها على النحو التالى:

١ - أن مدينة القدس كانت على مدى تاريخها الطويل من أكثر المدن معاناة وتعرضًا للنكبات.

٢ - الجهل الذى ساد فى القرون المظلمة وران على قلوب كثير من الناس.

٣ - ما نهبه الغرب وما أخذه من كتب ومخطوطات فى وقت لم يكن فيه أهل البلاد يعرفون قيمتها.

وعلى هذا النحو تسرب كثير من كتب التراث إلى أوروبا وأمريكا ويؤكد البعض هذه الحقيقة بقوله: إن هناك صناديق مليئة بالمخطوطات فى جامعة هيدلبرج فى ألمانيا عليها ختم المسجد الأقصى[١٠٨].

الفترة الرابعة: القرن العشرين:

سيختصر الحديث عن هذه الفترة، لأنها تدخل ضمن الفترة الراهنة إلى حد ما، وقد تم التعرض لها بالتفصيل فى الفصل الثالث، لذا سنرصد هنا فقط الملامح العامة لهذه الفترة.

عندما أنشىء المجلس الإسلامى الأعلى فى مدينة القدس سنة ١٩٢١، أولـى عناية كبيرة للكتب القديمة فـى القدس، فجمع كثيرًا منها ومن المخطوطات الباقية فى خزائن المسجد الأقصى، وأنشأ مكتبة فى المسجد الأقصى ووضع فيها ما أمكـن جمعه من الكتب والمخطوطات التى نجت من الإهمال وسوء التصرف، أطلق عليها «دار كتب المسجد الأقصى».

وافتتحـت هـذه الدار عـام ١٩٢٢ فى القبـة النحويـة التى كانت مدرسـة للنحو والأدب، أنشـأها الملك المعظم، ثم نقلـت فيما بعد إلى المكتبة الأسـعردية بعد أن رممها المجلـس الأعلى فى عهد الحاج أمين الحسـينى، وقد نقلت الـدار بعد ذلك حوالى عـام ١٩٢٩ إلى المتحف الإسـلامى، وبقيت مغلقة (مخزونة) لمدة خمسـة عقود تقريبًا، وكان كثيـر من كتب هـذه الدار فى حالة رثة، وظل الوضـع هكذا حتى عام ١٩٧٦ عنما ارتأت دائرة الأوقاف والمقدسات الإسلامية فى القدس إحياء هـذه المكتبة من جديـد، لذا عملت جهدها فى جمـع الكتب المخزونة فى المتحف الإسـلامى باسم «دار كتب المسجد الأقصى»، وأضافت إليها مكتبات بعض الأسـر التى تبرع بها أصحابهـا، وجمعت ذلك كله فى مبنى المدرسة الأشرفية التى بنيت فى عهد السلطان قايتباى سنة ٨٨٦ هـ/ ١٤٨١م، ونقلـت هذه المقتنيـات فى هذا المقر الجديد تحت اسـم «مكتبة المسـجد الأقصى»، وهذه المكتبة هى التى تم دراسـة مستفيضة لوضعها الراهن فى الفصل الثالث.

الفصل الثالث

مكتبة المسجد الأقصى: دراسة للوضع الراهن

يعالج هذا الفصل بالدراسة والعرض والتحليل الوضع الراهن لمكتبة المسجد الأقصى من حيث مقوماتها المادية والبشرية، فيتناول الموقع والمبنى والتجهيزات، ثم مجموعات المقتنيات من الكتب والدوريات والمخطوطات، يلى ذلك الموظفون بالمكتبة، على أساس أن هذه العناصر الثلاثة تمثل الركائز الأساسية أو المقومات الرئيسية لأية مكتبة تسعى إلى تقديم خدمة مكتبية ومعلوماتية ذات مستوى مناسب لروادها من القراء والباحثين، وقد تم معالجة هذه العناصر فى نطاق المعلومات والبيانات المتاحة، حيث تعيش كل المدن الفلسطينية وعلى رأسها مدينة القدس وضعا عسيرا وظروفا صعبة أثرت بصورة مباشرة على كل مناشط الحياة فى هذه المدينة الصامدة.

الموقع والمبنى والتجهيزات:

تقلبت على مكتبة المسجد الأقصى عوامل متعددة تبعثرت خلالها كتبها وتغيرت أماكنها على مر العصور.

الموقع:

وقبـل الحديث عن مبنــى المكتبة ومكانه، يلـزم الأمر إعطاء صورة مبسـطة عـن موقع الحرم القدســى الشـريف الذى يضم مـكان ومبنى المكتبة.

تضم مدينة القدس أماكن مقدسة كثيرة بالنسبة للمسلمين، ومن أهم هذه الأماكن منطقة الحرم القدسى الشريف، وتبلغ مساحة هذه المنطقة نحو (١٤٣) دونمًا (أى حوالى ٦٠ فدانًا)[١٠٩] وهذه المنطقة محاطة بسور من الحجر بارتفاع نحو خمســة أمتار وعرض نحو متر، وتشـتمل هذه المنطقة على مبان كثيرة أهمها:

١ - المسـجد الأقصــى: وهو الجامع الكبير الواقع فــى الجهة القبلية من مساحة الحرم القدسى الشريف، وتبلغ مساحته نحو (٤٥٥٧) مترًا مربعًا شاملة المسجد الأقصى ذاته، وجامع النساء وجامع عمر ومقام سيدنا زكريا.

٢ - مسجد قبة الصخرة: وهو مقام فوق الصخرة، وهو المكان الذى صلى فيه الخليفــة عمر بن الخطاب، وحظى باهتمام الحكام المسـلمين على مر العصور، ويبعد عن المسـجد الأقصــى بنحو (٢٠٠) متر، وتبلغ مســاحة مسـجد قبة الصخرة (٧٥٠) مترًا مربعًا وهو على شكل مثمن، يبلغ طول ضلعه الخارجى (٢٠) مترًا وارتفاعه (١٢) متـرًا، أما ارتفــاع المبنى حتى أعلى الهلال فيبلــغ (٣٦) مترًا هو

مغطى بالقيشانى والخزف متعدد الألوان والزخارف.

٣ - البراق الشريف: ويسميه اليهود حائط المبكى، ويدّعون أنه البقية الباقيــة مــن الهيكل القديم، والحقيقة التى لا مــراء فيها أنه أثر إسلامى.

٤ - قبة السلسلة: وتقع على بُعد قريب من شرقى قبة الصخرة.

٥ - القبــاب الصغيرة: وتوجد فى ســاحة الحرم ثــلاث قباب أقيمت لتســجيل ليلة الإســراء والمعراج: قبة الرسول، قبة جبريل، قبة المعراج.

هذا بالإضافة إلى مبان أخرى موجودة داخل ســور الحرم الشــريف منها: المتحف الإســلامى - المدارس والمعاهد الدينية التى أقيمت على مــر العصــور - الأروقة - المنائــر - القاصير - المصاطــب - والأبواب وغيرها.

ومن أهم هذه المدارس المدرسة الأشرفية التى أصبحت فيما بعد مقرًا لمكتبة المســجد الأقصــى، وهى تبعد عنه بنحو ١٥٠ مترا. وأن ســاحة الحرم الشــريف بما فيها المساجد المشار إليها تسع نحو ٢٥٠ ألف مصلٍ وخاصة يوم الجمعة.

وتأسيسًــا على ما سبق عرضه يمكن القول بأن مكتبة المسجد الأقصى هــى مكتبــة لكل هذه الأماكن المقدســة التــى يدور الســور حولها بما فيهــا المســجد الأقصى ذاته من باب تســمية الجزء باســم الكل، ويقع

المقــر الحالى لهذه المكتبة فى مبنى المدرســة الاشــرفية. وقد أذن الله - سـبحانه وتعالى - للباحث أن يزور الحرم القدســى الشريف ويرى كل هــذه الأبنية على الطبيعــة رأى العين، ولا ينســى الباحث تقديم أســمى آيات الشكر إلى الأســتاذ توفيق أحمد الشيخ نائب مدير المكتبة الذى اصطحب الباحث خلال هذه الجولة وقدم له كل المعلومات عن هذه الأماكن، والتقط معه صورة فوتوغرافية أمام مبنى المكتبة للذكرى الحية على مر الأيام.

المبنــى:

بــادئ ذى بدء يجب التنويه بأن مبنى مكتبة المســجد الأقصى تغير أكثر من مرة، حيث شـغلت مبانى متعددة خلال القرن العشرين. ففى عام ١٩٢٠م/ ١٣٤٠هـ تم إنشــاء «المجلس الإســلامى الأعلى» فى مدينة القدس، وكان من باكورة أعمال هذا المجلس إنشــاء «دار كتب المســجد الأقصى» وافتتحت الدار فى ٢ أكتوبر ١٩٢٢/١٢ ربيع الأول ١٣٤١هـ، وكان مقرهــا القبــة النحويــة - التى كانت مدرســة للنحــو والأدب - الواقعة على الطرف الجنوبى لســطح الصخرة المشــرفة، والتى بناها - أى القبة - الملك المعظم سنة ١٢٠٧م/ ٦٠٤هـ.

وقد حققت دار كتب المسجد الأقصى فى حينه المهمة التى أنشئت من أجلها، والمتمثلة فى جمع واقتناء الكتب الدينية واللغوية سواء كان ذلك عن طريق الشراء أم الوقف أم الإهداء، ومما وجد فى المسجدين (المسجد

الأقصى ومسـجد قبة الصخرة) والمدارس الموجودة داخل الحرم القدسى الشـريف، هذا بالإضافة إلى توفير مجموعـات من الدوريات المحلية والعربية التى كانت تصدر آنذاك عن طريق الإهداء أو الاشتراك. وكانت كل هذه المقتنيات النواة التى تشـكلت منها مجموعات الدار، وتطورت الدار حتى أصبح لها سـمعة علمية كبيرة، ولكن الظروف التى أحاطت بالمنطقة كانت عائقًا فى سـبيل اسـتمرار الدار فى أداء رسـالتها، فتم نقلها - بعد عدة سـنوات قليلة - إلى مكان آخر وفُقد بعض من كتبها خلال ذلك.

انتقلت كتب الدار وبقية مقتنياتها إلى مبنى المدرسـة الأسـعردية - التى بنيت سنة ١٣٥٨م - ٧٧٠هـ - فى شمال منطقة الحرم، ما بين باب فيصل وباب الغوانمة، بعد أن رممها المجلس الإسلامى الأعلى فى عهد الحاج أمين الحسـينى، واسـتمرت دار الكتب فى هذا المبنى عدة سنوات ثم نقلت إلى مكان آخر.

فـى عام ١٩٢٩ نقلـت محتويات الدار فى خزائـن مغلقة إلى مبنى المتحف الإسـلامى، وبقيت هذه المحتويات محنطة - على حد تعبير مديرها الحالى - فى خزائنها حتى عام ١٩٧٦ أى نحو خمسة عقود.

وفى منتصف عام ١٩٧٦ ارتأت دائرة الأوقاف والمقدسـات الإسلامية فـى القدس إحيـاء هذا التراث الخالد وتجديده كرافـد من روافد العلم والثقافة، فقامت بافتتاح الدار تحت اسـم «مكتبة المسجد الأقصى» فى

مقرها الحالى وهو مبنى المدرسة الأشرفية بعد أن قام المهندس المقيم بلجنة إعمار المسجد الأقصى بترميم المبنى الذى تم اختياره للمكتبة - المدرسة الأشرفية - والتى بنيت فى عهد السلطان الأشرف قايتباى سنة ١٤٨١م/ ٨٨٦هـ، ونقلت محتويات المكتبة إلى هذا المبنى الجديد ولازالت فيه حتى يومنا هذا، وقام الباحث بزيارة هذا المبنى لإجراء الدراسة الميدانية لهذه المكتبة عام ١٩٩٨.

ومبنى المكتبة - الحالى - عبارة عن دور واحد مرتفع البنيان - مثل كل المبانى الأثرية القديمة- ومكوّن من حجرة صغيرة لمدير المكتبة يشاركه فيها نائبه، وقاعة متوسطة يتم بها العمليات الفنية والإدارية للمقتنيات، وقاعة اطلاع كبيرة.

ويلاحظ على مبنى المكتبة أنه لم يؤسس ليكون مكتبة من حيث التقسيم الوظيفى كمبنى مكتبة، كما يعيب المبنى أيضًا الرطوبة وقلة الضوء الطبيعى وسوء التهوية وعدم قدرته على التوسع المستقبلى سواء كان أفقيًا أم رأسيًا، وهذه عوامل تؤثر بالسلب على أداء المكتبة لرسالتها المتمثلة أساسًا فى تقديم الخدمات المكتبية لروادها من القراء والباحثين.

الأثاث والتجهيزات:

يؤدى الأثاث المكتبى وتجهيزاته دورًا مهمًا فى إنجاح وظائف المكتبة وتحقيق أهدافها فعن طريق هذه التجهيزات وذلك الأثاث

تتمكن المكتبة من تطوير وتحسين وتسهيل أداء خدماتها، فضلاً عن تهيئة المناخ الملائم الذى يستهوى القارئ ويستدرجه للقراءة.

وتشتمل تجهيزات المكتبة على فئات من الأثاث مثل وحدات رفوف الكتب ووحدات الفهارس، والمناضد بأنواعها، ودواليب ورفوف عرض الكتب والدوريات، والمقاعد وعربات الكتب ورفوف الملفات... الخ، كما تشتمل أيضًا على فئات من الأجهزة مثل الآلات الكاتبة، وأجهزة الاستنساخ والتصوير، والحاسبات الآلية وأجهزة المصغرات الفيلمية... الخ.

وعلى الرغم من أهمية توفر هذه الفئات بشقيها فى المكتبات، إلا أن تعددها يختلف من مكتبة إلى أخرى، تبعًا لاختلاف سعة المكتبة من جهة، والإمكانيات المادية المتاحة لها من جهة أخرى.

وبدراسة هذا العنصر فى مكتبة المسجد الأقصى وجد الباحث أن أثاث المكتبة وتجهيزاتها يتسم بالتواضع، فالأثاث الموجود عبارة عن:

(أ) عدد ٦٠ وحدة من الرفوف لتسكين الكتب والدوريات عليها بارتفاع ١,٥ م.

(ب) عدد ٩ مناضد كبيرة للإطلاع الداخلى.

(جـ) عدد ثلاث مناضد متوسطة لإجراء العمليات الكتابية والفنية.

(د) عدد ٤٥ مقعدًا للقراء وللعاملين بالمكتبة.

(هـ) وحدة فهارس بها بطاقات قديمة مكتوبة بخط اليد تتضمن بيانات عن الكتب ويلاحظ عليها أنها لا تمثل الواقع.

(و) عدد ثلاثة مكاتب قديمة للعاملين بالمكتبة.

وهذا الأثاث المتواضع مصنوع من الخشـب ويتسـم بالشكل التراثى القديم، فضلاً عن أنه غير كاف، حيث يوجد كثير من الكتب محفوظة فى صناديق وغير مفهرسة.

أمّا بالنسـبة للأجهزة الموجودة فى المكتبة فلا يوجد منها إلا جهاز ميكروفيلـم لتصوير وحفظ الوثائق والمسـتندات والمخطوطات عن طريق تصويرهـا على أفـلام. ويقلل من فعالية هذا الجهـاز النقص فى بعض أجهزته التكميلية مثل:

أ - الناسخ القارئ Reader Printer

ب - آلة استخراج الأفلام المطابقة Duplicator

جـ - آلة نسخ عادية Photo Copy Machine

د - آلة ترميم للمخطوطات Vinyector IV

ولاتوجـد أية أنواع أخـرى من الأجهزة، وخاصة جهاز الحاسـب الآلى الـذى يجب أن يوجد فى أية مكتبة لحفظ واسـترجاع المعلومات حيـث أصبح وجوده ضـرورة ملحة للتعامـل مع هذا الكـم من أوعية المعلومات حفظًا واسترجاعًا.

٣/ ٢ المقتنيات:

يتفـق المتخصصون فـى مجالس دراسـات المكتبـات والمعلومات أن مصطلـح «المقتنيات» أو مصادر المعلومات أو أوعية المعلومات يعنى كافة المواد المكتبية فى أوسع فئاتها شكلاً ونوعًا ومضمونًا.

وتعتبــر المقتنيات فى نطاق هذا المفهوم أحد العوامل الرئيســية فى تقديــم خدمة مكتبية فعالة إذا ما تم تكوينهــا وبناؤها بطريقة علمية ســليمة وفق سياســة مكتوبة، بحيــث تغطى الاهتمامــات الموضوعية للجهــة المشــرفة على المكتبــة من جهــة، وتلبى المتطلبــات البحثية والقرائية للمستفيدين من المكتبة من جهة أخرى.

ومن خلال دراســة فئات المقتنيات المتوفرة فى المكتبة محل الدراسة الميدانيــة، نجدهــا تشــتمل على ثلاث فئــات متميزة هــى: الكتب، الدوريــات، المخطوطات. وأهم ما يميز هذه الفئات أنها تراثية تحتوى على الأمهــات فى كل فئة. وفى الفقرات التالية دراســة تحليلية لكل فئة على حدة.

الكتب:

ومصادر مقتنيات المكتبة من الكتب هى:

- بقايــا دار كتب المســجد الأقصى: ويبلغ عددها من واقع الســجلات (٤٠٠٠) أربعة آلاف كتاب.
- مكتبة الشــيخ خليل الخالدى: وتم نقلها إلى مكتبة المسجد الأقصى فى منتصف ســنة ١٩٧٨ مــن داره الكائنــة فى الزاوية الشــمالية الغربيــة من الحــرم القدســى الشــريف، ويبلغ عددها مــن واقع السجلات (٥٠٠٠) خمسة آلاف كتاب.
- مكتبة الشــيخ صبرى عابدين: ولد فى القدس وعمل فى عدة وظائف مختلفة بعد تخرجه من الأزهر الشــريف وتوفى فى القاهرة ســنة

١٩٦٢، وتم نقلها إلى مكتبة المسجد الأقصى من مكانها فى «ثانوية الأقصى الشرعية للبنين» ويبلغ عددها من واقع السجلات (٣٥٠) ثلاثمائة وخمسين كتابًا.

■ مكتبةالشيخ محمد الخليلى: وتم نقلها إلى مكتبة المسجد الأقصى من مكانها فى «المتحف الإسلامى». ويبلغ عددها من واقع السجلات (٧٠٠٠) سبعة آلاف كتاب.

■ الكتب المشتراه: حيث قامت دائرة الأوقاف الإسلامية - وهى الجهة التابعة لها المكتبة - بشراء (٤٠٠٠) أربعة آلاف كتاب منذ عام ١٩٧٦ وحتى عام١٩٨٨.

وتحصيلاً لما سبق فإن عدد مقتنيات المكتبة من الكتب العربية يبلغ (٢٠٣٥٠) كتابًا، وذلك من خلال السجلات عند إجراء الدراسة الميدانية عام ١٩٩٨، ولكن أشار السيد مدير المكتبة إلى فَقْد نسبة قليلة من هذه الكتب عند نقلها من أماكنها المختلفة إلى مكتبة المسجد الأقصى، وعلى ذلك فإن المكتبة تقوم بإعداد سجلات جديدة تسجل فيها المقتنيات من الكتب العربية من واقع الرفوف.

أما الكتب الأجنبية المقتناة فى مكتبة المسجد الأقصى فهى قليلة وهى على النحو التالى:

■ اللغة الإنجليزية: وتقدر مجموعتها بـ (٤٠٠) أربعمائة كتاب فى موضوعات مختلفة، وترجع طباعة بعضها إلى سنة ١٨٢٠.

- اللغة الفرنسـية: وتقدر مجموعتها بـ (٥٠٠) خمسـمائة كتاب، وترجع طباعة بعضها إلى أوائل القرن التاسـع عشر، وهى تحتوى علـى مجموعة قيمة من كتب الآثار الإسـلامية، ومجموعة أخرى عن القاشـانى والأخشـاب والحجـر والرخام والمصابيـح والقنانى الزجاجية والنحاسيات التى صنعت فى العصر الأيوبى.
- اللغـة التركيـة: وتقدر مجموعتهـا بـ (١٠٠٠) ألـف كتاب وهى مطبوعة بالحروف العربية.

ويلاحـظ أن جميـع الكتب الأجنبية فـى المكتبة غير مفهرسـة أو مصنفة، وغير مسـجلة فى سـجلات حديثة لعدم توفر الأيدى العاملة المدربة.

التوزيع الموضوعى للكتب:

لا يوجد إحصاء موضوعى نطمئن إليه ونسـتند عليه للكتب المقتناة فى المكتبة وذلك لسـببين: أولهما: أن المكتبـة كانت - وقت إجراء الدراسـة الميدانية - فى حالة إعادة تسجيل الكتب من واقع الرفوف فى سـجلات جديدة، وثانيهما: أن معظم الكتب غير مصنفة بطريقة موضوعيـة سـليمة حسـب خطة تصنيف ديـوى التى تسـير عليها المكتبة، الأمر الذى يصعب معه تحديد عدد كتب كل موضوع تحديدًا دقيقًـا، ومع ذلك - ومن خلال الفحص العام للكتب المقتناة والموجودة على الرفوف - فإن موضوعات هذه الكتب تدور حول الدين الإسلامى

وعلومه واللغة العربية والأدب العربى والتاريخ مع التركيز على كتب الآثار الإسلامية.

التوزيع اللغوى للكتب:

يبين الجدول رقم (١) إجمالى مقتنيات المكتبة من الكتب موزعًا وفق اللغات

جدول رقم (١) التوزيع اللغوى للكتب

م	اللغة	عدد الكتب	٪
١	العربية	٢٠٣٥٠	٩١,٤٦
٢	التركية	١٠٠٠	٤,٤٩
٣	الفرنسية	٥٠٠	٢,٢٤
٤	الإنجليزية	٤٠٠	١,٧٩
العدد الإجمالى		٢٢٢٥٠	٩٩,٩٨

ومن خلال تحليل بيانات هذا الجدول يمكن استنتاج و رصد مجموعة المؤشرات الإحصائية التالية:

١ - ارتفاع نسبة الكتب باللغة العربية، حيث بلغت ٩١,٤٦٪ من العدد الإجمالى للكتب، وهذا حق فالمكتبة تراثية تكونت مجموعاتها - عبر فترة طويلة من الزمن - من مصادر عدة كان أصحابها من كبار علماء الإسلام الذين يجيدون اللغة العربية مما

أثــر ذلك على الطبيعة اللغوية لمقتنياتهم، فضلاً عن أن معظم رواد المكتبة لغتهم القومية هى اللغة العربية.

٢ - جاءت الكتب باللغة التركية فى المرتبة الثانية بعد اللغة العربية، حيث بلغت نســبتها ٤,٤٩٪ من العدد الإجمالــى للكتب، وربما يرجــع ذلك إلى الظروف السياســية للبلاد حيث كانت فلســطين إحــدى ولايات الدولة العثمانية منذ عــام ١٥١٧ حينما وقعت فى قبضة ســليم الأول سلطان تركيا واســتمر هذا الوضع حتى الحرب العالمية الأولى.

٣ - جــاءت الكتــب باللغة الفرنســية فــى المرتبة الثالثــة بعد اللغة التركيــة، وهذه اللغــة كانت منتشــرة فى فلســطين زمن العصر الأيوبى حيث كانت الحروب الصليبية التى قادتها فرنســا أساسًا مع بعض الدول الأوروبية، واستمرت فيها نحو قرن من الزمان.

٤ - وأخيــرًا جاءت الكتب باللغــة الإنجليزية فى المرتبة الأخيرة بعد اللغة الفرنســية، حيث فرضت بريطانيا على فلسطين - بما فيها القدس - ســلطانها فيما يعرف بالانتداب البريطانى - منذ نهاية الحرب العالمية الأولى وحتى ١٤ مايو ١٩٤٨.

الدوريات:

تعتبــر الدوريات مصدرًا متميزًا من مصادر المعلومات، فهى ســجل للأحداث التاريخية أولاً بأول، وتمتاز مجموعة مكتبة المسجد الأقصى

من الدوريات بقدمها، حيث ترجع بعض تواريخ الدوريات المقتناة بها إلى أوائل القرن العشرين.

وتحتوى مكتبة المسـجد الأقصى على مجموعـة قيمة من الصحف وأخرى من المجلات، التى كانت تصدر فى فلسـطين منذ أواخر العصر العثمانى إلى نهاية الانتـداب البريطانى. وقد بلغ عدد هذه الصحف المقتنـاة فى المكتبـة (٢٢) صحيفة، ويرجع تاريـخ بعضها إلى عام ١٩٢٣ وهى صحيفة فلسـطين لصاحبها عيسى داوود وكانت تصدر فى «يافـا» وتمتلك المكتبة منها مجموعة كاملة ابتداء من أول عدد الصادر فى شـباط (فبراير) ١٩٢٣ وحتى آخر عـدد الصادر فى آذار (مارس) ١٩٣٧.

أمـا بالنسـبة للمجلات فقد أفاد مدير المكتبـة أن عددها غير معلوم على وجه اليقين ولكنه يدور حول (٥٠) مجلة، كلها مجلات تراثية: إسـلامية وأدبية، وكانت مجموعـة الدوريات فى حالـة فرز وتنظيم وإعادة تسـجيل. كما أفاد مدير المكتبة بأن المكتبة كانت مشـتركة منذ عـام ١٩٧٦ وحتى عام ١٩٨٨ فى الدوريـات (الصحف والمجلات) التى تصدر فى فلسـطين، ومنذ عـام ١٩٨٨ اقتصرت عملية الاشـتراك على صحيفة «القدس» فقط لعدم وجود ميزانية مخصصة للدوريات.

ويلاحظ على مجموعة الدوريات المقتناة فى المكتبة أن حالتها المادية تتفاوت ما بين الجيد والسـىء، حيـث تآكلت أطراف بعض الصحف، وهذا ناتج عن تخزينها فى أماكن مظلمة لا تدخلها الشمس وغير جيدة

التهوية وتعانى من الرطوبة مما أثر على حالتها، فضلاً عن عدم العناية بهذه المجموعة سابقًا - حيث انتقلت من أكثر من مكان - وعدم تجليد معظمها.

المخطوطات:

تعتبر المخطوطات ثروة إنسانية بشكل عام، وثروة إسلامية عربية بشكل خاص، وهى ثروة لا يمكن أن تقدر بثمن. والمخطوط - كما هو معلوم - مشتق من الفعل خط، والخط ما كتب وخط باليد وذلك قبل عصر الطباعة.

وللمخطوط أشكال وأنواع مختلفة ومتطورة مع التطور البشرى منذ أقدم العصور، فمنها ما هو مكتوب على الآجر، أو ورق البردى، أو الكاغد.. الخ. والمخطوطات ما هى الا تسجيل لمدنية الشعوب عبر العصور، تناولت عادات هذه الشعوب وتقاليدها وأخلاقها وآدابها وديانتها.

ومخطوطات مكتبة المسجد الأقصى جميعها مكتوبة على الكاغد، وتتناول موضوعات شتى، ومصادر مقتنيات المكتبة من المخطوطات هى:

١ - مخطوطات دار كتب المسجد الأقصى: وهى محدودة فى عددها، حيث يبلغ عددها (٧٤) أربعة وسبعين مخطوطًا، وهى بشكل عام جيدة، ويبدو أنها جلدت حديثًا. ومن خلال قيام الباحث بفحص السجلات المسجلة بها هذه المخطوطات، تبين له أن عددها (٢٦٧)

مخطوطًـا، ومن هنـا نلاحظ فقدان (١٩٣) مخطوطًـا وهذا ما أكده السيد مدير المكتبة.

٢ - مخطوطات الشـيخ محمد الخليلى: والشـيخ هو: محمد بن محمد ابن شـرف الديـن الخليلى المولد، والقدسـى الإقامة توفى سـنة ١١٤٧هـ/ ١٧٣٤م وكان علامة مشهورًا. وقد نقلت مكتبته بما فيها المخطوطـات إلى مكتبة المسـجد الأقصى صيف سـنة ١٩٧٨ وعدد المخطوطات بها (٣٥٠) ثلاثمائة وخمسـين مخطوطًا. ويلاحظ على هذه المجموعة أنها تعانى من التآكل بسبب الأرضة والرطوبة، مما يحتاج الأمر إلى تداركها بالصيانة.

٣ - مخطوطـات الشـيخ خليـل الخالدى: وهـو علامـة ورحالة زار المغرب والأندلس وتركيا وبلاد الشـام، وجمـع الكثير من الكتب والمخطوطات، وشـغل منصب رئيس محكمة الاستئناف الشرعية فـى القدس، توفى فى القاهرة ودفن فيها سـنة ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١. وقـد نقلت مكتبته إلى مكتبة المسـجد الأقصى فى منتصف سـنة ١٩٧٨، ويبلـغ عدد المخطوطات بهـا (١٠٠) مخطوط، ويلاحظ أن حالتها المادية جيدة بشكل عام.

وليـس هذا هو كل مخطوطات مكتبة المسـجد الأقصى، ولكن توجد مخطوطات أخرى مهداة إلى المكتبة من بعض مكتبات الأسـر المقدسية وغيرها من المكتبات الخاصة الموجودة فى القدس، كما أفاد بذلك السيد مدير مكتبة المسـجد الأقصى وقد قدرها سيادته بنحو ألف مخطوط فى

خزائن على شكل صناديق خشبية غير مسجلة فى سجلات وبالتالى فهى غير منظمة أو مفهرسة.

وقبل دراسة وتحليل مقتنيات مكتبة المسجد الأقصى من المخطوطات لابد من التنويه إلى أن هذه المخطوطات الموجودة فى المكتبة تعانى فى وضعها الراهن من جملة مشكلات تتمثل فى:

١ - أوراق بعض المخطوطات مفككة ومختلطة مع بعضها، وهذه يلزمها أيدى عاملة فنية ومثقفة لتجميعها فهى لا تخضع لطريقة التخزين الصحيحة.

٢ - تحلل قسم كبير من أوراق المخطوطات بسبب تعرضها للرطوبة فى أبنية مظلمة ولا تخضع لطريقة التخزين الصحيحة.

٣ - وأخيرًا تعانى المخطوطات من آثار الأَرَضَة «دويبة تأكل الخشب ونحوه» وتتفاوت هذه الآثار بين مخطوطة وأخرى.

ومن الجهود الجديرة بالذكر هنا بالنسبة للمخطوطات ما قام به السيد مدير المكتبة/ خضر إبراهيم سلامة من إعداد فهرس لهذه المخطوطات نشر فى جزءين بعنوان «فهرس مخطوطات مكتبة المسجد الأقصى». ولأهمية المخطوطات بالنسبة لمكتبة المسجد الأقصى - باعتبارها مكتبة مسجدية تراثية - يلزم الأمر دراسة تحليلية لهذا الفهرس لبيان قيمة هذه الكنوز التى لا تقدر بثمن وتقتنيها المكتبة.

وصف عام للفهرس:

يقع الفهرس فى جزءين، صدر الجزء الأول فى طبعته الأولى سنة ١٩٨٠ وفى طبعته الثانية سنة ١٩٨٣ عن دائرة الأوقاف الإسلامية بالقدس، وجاء فى ٢٣٠ صفحة ويضم الجزء الأول وصفًا مفصلاً لعدد من المخطوطات المقتناة بالمكتبة بلغ (٢١٣) مخطوطًا. أما الجزء الثانى فصدر عام ١٩٨٣ عن المجمع الملكى لبحوث الحضارة الإسلامية التابع لمؤسسة آل البيت بالأردن، وجاء فى ٢٧٦ صفحة، ويضم وصفًا مفصلاً لعدد من المخطوطات المقتناة بالمكتبة بلغ (٢٢١) مخطوطًا، وعلى ذلك يضم الفهرس فى جزءيه (٤٣٤) مخطوطًا محفوظة ومقتناة فى مكتبة المسجد الأقصى.

وجاءت القواعد العامة لوصف كل مخطوط مدون فى الفهرس على النحو التالى:

١ - الرقم المسلسل.

٢ - ذكر موضوع المخطوط.

٣ - عنوان المخطوط.

٤ - المؤلف: اسمه كاملاً وتاريخ مولده ووفاته.

٥ - الموضوع الفرعى.

٦ - تاريخ النسخ واسم الناسخ.

٧ - عدد الأوراق وقياساتها.

٨ - أول المخطوط وخاتمته.

٩ - ملاحظات: مثل بيان الحالة المادية [جيدة أو يحتاج إلى ترميم] وذكر نوع الخط وما يتميز به من رسومات أو هوامش.

هذا بالإضافة إلى إثبات علامات التملك والإجازات كما وردت فى النسخ المخطوطة، وتُشكل هذه العلامات أهمية كبرى بالنسبة للمؤرخين المهتمين بتاريخ القدس، كما أنها تلقى مزيدًا من الضوء على أعلام القدس ومعاهد العلم فيها خلال العصرين المملوكى والعثمانى.

وقد ألحق بكل جزء مجموعة من الفهارس تمثلت فى:

١ - فهرس المؤلفين.

٢ - فهرس عناوين المخطوطات.

٣ - فهرس بأسماء النُساخ.

٤ - فهرس الأعلام.

٥ - فهرس دور العلم والمكتبات.

دراسة تحليلية لمحتويات الفهرس:

بلغ عدد المخطوطات المدونة فى الفهرس (٤٣٤) مخطوطًا، هذه المخطوطات كتبت فى عصور مختلفة، وتحتوى على موضوعات مختلفة، وفى الفقرات التالية دراسة تحليلية لهذه الموضوعات وتلك العصور.

أولاً التوزيع الزمنى للمخطوطات:

يوضح الجدول رقم (٢) توزيع المخطوطات زمنيًا وفق القرون الهجرية

جدول رقم (٢) توزيع المخطوطات زمنيًا

م	القرن الهجرى	عدد المخطوطات	٪
١	السادس	١	٠,٢٣
٢	السابع	٦	١,٣٨
٣	الثامن	٢٤	٦,٢٢
٤	التاسع	٤٣	٩,٩٠
٥	العاشر	٥٠	١١,٥٢
٦	الحادى عشر	٦٣	١٤,٥١
٧	الثانى عشر	١٢٧	٢٩,٢٦
٨	الثالث عشر	٨٤	١٩,٣٥
٩	الرابع عشر	٣٣	٧,٦٠
العدد الإجمالى		٤٣٤	٩٩,٩٧(*)

ومن خلال تحليل بيانات هذا الجدول يمكن رصد وتسجيل المؤشرات التالية:

١ - يرجع تاريخ أقدم مخطوط تقتنيه المكتبة إلى القرن السادس الهجرى، ويحمل رقم مسلسل (١٩٧) بالجزء الأول من الفهرس، وعنوان هذا المخطوط هو «تلخيص المتشابه فى الرسم وحماية

(*) توجد كسور طفيفة بها تكمل المائة.

ما أشكل منه عن نوادر التصحيف والوهم» لمؤلفه الخطيب البغدادى (أبو بكر أحمد بن على ثابت) المتوفى سنة ٤٦٣هـ - ١٠٧١م وقد تم نسخ المخطوط فى شوال سنة ٥٧٧ هـ - ١١٨١م بخط أبوالرضا أحمد بن أبى محمد بن أبى القاسم النجاد المولى، أى بعد وفاة المؤلف بأكثر من قرن من الزمن. ويستدل من علامة التملك التى فى أوله أن المخطوط كان ملكًا لأحد المدرسين فى المدرسة السلمية فى دمشق، وأنه نقل عن نسخة المؤلف، والمخطوط بحالة جيدة، كما أشارت بياناته فى الفهرس.

٢ - يرجع تاريخ كتابة أحدث مخطوط إلى القرن الرابع عشر الهجرى، وتحديدًا سنة ١٣٤١هـ، ويحمل رقم مسلسل (١٨٦) بالجزء الأول من الفهرس، وعنوان هذا المخطوط هو «فى أصول الخط» لمؤلفه عبد السلام بن عمر بن عبد السلام الحسينى المتوفى سنة ١٣٣٣ هـ - ١٩١٤م، وقد تم نسخ المخطوط بعد ثمانى سنوات من وفاة المؤلف، بخط محمد أمين بن محمد الدنف الأنصارى، والمخطوط بحالة جيدة جدًا، كما أشارت بياناته فى الفهرس.

٣ - كان أكثر القرون نسخًا للمخطوطات المقتناة فى مكتبة المسجد الأقصى هى على الترتيب: القرن الثانى عشر (١٢٧ مخطوطا بنسبة ٢٩,٢٦٪) - القرن الثالث عشر (٨٤ مخطوطًا بنسبة ١٩,٣٥٪) - القرن الحادى عشر (٦٣ مخطوطًا بنسبة ١٤,٥٪). وربما يرجع ذلك إلى وجود حركة علمية نشطة خلال هذه القرون، حيث تشير

دراسة حديثة إلى وجود (٢٤٠) عالمًا من علماء فلسطين في القرون الخمسة الأخيرة (من القرن العاشر الهجرى حتى القرن الرابع عشر) تحملوا عبء هذه الحركة العلمية، والتصدى للتدريس في المسجد الأقصى وألفوا كثيرًا من الكتب[١١٠]. فضلا عن أن بعض أصحاب مصادر هذه المخطوطات عاشوا خلال تلك القرون، مما كان حافزا لهم لاقتناء ما نسخ فيها من مخطوطاته، فقد عاش الشيخ محمد الخليلى - الذى تعتبر مكتبته إحدى هذه المصادر - فى أواخر القرن الحادى عشر الهجرى وتوفى فى حوالى منتصف القرن الثانى عشر الهجرى (ت ١١٤٧ هـ)، كذلك فإن ما يضمه الفهرس من مخطوطات هى حصيلة المخطوطات المتوارثة من العصر العثمانى أساسًا.

٤ - وأخيرًا يلاحظ أن أقل القرون نسخًا للمخطوطات المقتناة فى مكتبة المسجد الأقصى هى على الترتيب: القرن السادس (مخطوطة واحدة بنسبة ٠,٢٣٪) - والقرن السابع (ستة مخطوطات بنسبة ١,٣٨٪) وهذا يدل على التأثير النسبى للبُعد الزمنى على عملية اقتناء المخطوطات.

ثانيًا: التوزيع الموضوعى للمخطوطات:

يوضح الجدول رقم (٣) توزيع المخطوطات المقتناة فى مكتبة المسجد الأقصى والمشمولة فى فهرس المخطوطات بجزءيه حسب موضوعاتها.

جدول رقم (٣) التوزيع الموضوعى للمخطوطات

م	الموضوع(*)	عدد المخطوطات	٪
١	علوم القرآن	٨٥	١٩,٥٨
٢	التفسير	١٤	٣,٢٢
٣	الحديث ومصطلحه	٤٩	١١,٢٩
٤	أصول الدين	٣٣	٧,٦٠
٥	التصوف والآداب الشرعية	٤٠	٩,٢١
٦	أصول الفقه	٣٢	٧,٣٧
٧	الفقه	٧٦	١٧,٥١
٨	الميقات (حساب - فلك)	٧	١,٦١
٩	اللغة العربية	٥٠	١١,٥٢
١٠	الأدب العربى	١٠	٢,٣٠
١١	تاريخ وتراجم (يشمل السيرة النبوية)	٣١	٧,١٤
١٢	متفرقات (المنطق - ردود...)	٧	١,٦١
العدد الإجمالى		٤٣٤	٩٩,٩٦(**)

ومن خلال تحليل بيانات هذا الجدول يمكن رصد وتسجيل مجموعة الاستنتاجات التالية:

١ - كان أكثر موضوعات المخطوطات شيوعًا هو «علوم القرآن الكريم» حيث بلغ عددها (٨٥) مخطوطًا بنسبة ١٩,٥٨٪ من العدد

(*) رتبت الموضوعات فى الجدول حسب ترتيبها فى الفهرس.

(**) توجد كسور طفيفه بها تكمل المائة.

الإجمالي للمخطوطات، وهى نسبة مرتفعة إن دلت على شيء فإنما تـدل على مدى الاهتمام بعلوم القـرآن الكريم على مر العصور من قراءات وتجويد وإعجـاز... إلخ، فالقرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع الإسلامى.

٢ - جـاءت مخطوطات الفقه الإسلامى فـى المرتبـة الثانية، حيث بلـغ عددها (٧٦) مخطوطا بنسـبة ١٧,٥١٪ مـن العدد الإجمالى للمخطوطات، وهى نسـبة مرتفعة أيضًا، تدل علـى أن الفقه كان يحظـى باهتمام خاص ويحتـل مقاما مرموقًا سـواء فى التدريس أم التأليـف، وذلك لارتباطه الوثيق بقضايا المسـلمين من عبادات ومعاملات وغيرها من أبواب الفقه.

٣ - احتلت مخطوطات اللغة العربية المرتبة الثالثة، حيث بلغ عددها (٥٠) مخطوطًا بنسـبة ١١,٥٢٪ من العدد الإجمالى للمخطوطات، وهى نسـبة معقولة حيث تكون علـوم اللغة العربية - عادة - فى خدمة النص القرآنى.

٤ - جاءت مخطوطات الحديـث ومصطلحه فى المرتبة الرابعة، حيث بلـغ عددها (٤٩) مخطوطا بنسـبة ١١,٢٩٪ مـن العدد الإجمالى للمخطوطـات، وهى أيضًا نسـبة معقولة، حيـث يعتبر الحديث الشـريف (السـنة النبوية) المصـدر الثانى من مصادر التشـريع الإسلامى بعد القرآن الكريم.

٥ – وكان أقل موضوعات المخطوطات هى على الترتيب: علم الميقات وعلم المنطق حيث بلغ عدد مخطوات كل منهما (٧) مخطوطات بنسبة ١,٦١٪ من العدد الإجمالى للمخطوطات، وهى نسبة قليلة تدل على ضعف التأليف والتصنيف فى هذين الموضوعين.

٦ – ويلاحظ أن أكثر موضوعات المخطوطات المتداولة فى القدس كانت شائعة فى مختلف أنحاء العالم الإسلامى، وهذا مؤشر على وحدة ثقافية وتبادل ثقافى واسع، ولكن انتشار المخطوطات عينها فى أزمنة متباعدة تمتد عدة قرون يدل على اعتماد متزايد على الماضى، أى الاعتماد على مؤلفات العصور السابقة.

وجملة القول أن عدد المخطوطات فى كل موضوع من الموضوعات السابقة، يعكس ما كان شائعًا أكثر من غيره من هذه العلوم، حيث نظر العلماء فى ترتيب العلوم حسب أقدارها وشرفها، فرتبوها علومًا دينية وعلومًا أخرى تخدمها، ومن هنا كثر التأليف والتصنيف حول العلوم الدينية وكل ما يندرج تحتها من علوم فرعية، كعلوم القرآن والحديث وأصول الفقه والفقه... إلخ.

٣/ ٣ التنظيم الإدارى والعاملون بالمكتبة:

تتبع المكتبة إداريًا وماليًا وإشرافيًا دائرة الأوقاف والمقدسات الإسلامية فى القدس، وتتنوع أنشطة هذه الدائرة فى مجالات كثيرة منها إعمار المسجد الأقصى، وصيانة المتحف الإسلامى، وبناء مدرسة

الأيتام الإسلامية، وترميم المساجد وإنشاء مساجد جديدة، وفتح مدارس فرعية فى الضفة الغربية، وتأسيس معهدين شرعيين فى القدس وقلقيلية، وتأسيس كلية الدعوة فى القدس، وبناء دور للقرآن الكريم فى مختلف أنحاء الضفة الغربية، وإنشاء ودعم المؤسسات الثقافية. ولعل أبرز الأنشطة الثقافية للدائرة هو افتتاح مكتبة المسجد الأقصى عام ١٩٧٦ بعد ترميم مبناها الأثرى الذى تقوم فيه حاليًا، وتزويدها بالمطبوعات الحديثة والأثاث.

والهيكل التنظيمى للمكتبة يتكون من مدير المكتبة ونائبه ومجموعة الموظفين، ويقوم الجميع بكافة الأعمال الفنية والكتابية اللازمة للعمل فى المكتبة، حيث لا يوجد تقسيم إدارى بمفهومه الدقيق فى المكتبة والذى يضم مجموعات الأنشطة مقسمة على إدارات أو أقسام أو غير ذلك من الوحدات التنظيمية، ويشرف مدير المكتبة على أمور المكتبة ويلبى احتياجاتها فى نطاق الامكانات المادية المتاحة والتى تخصصها دائرة الأوقاف الإسلامية للمكتبة سنويا وهذه المخصصات متغيرة من سنة إلى أخرى، وعلى العموم فهى قليلة لا تفى بالحد الأدنى من احتياجات المكتبة كما أفاد السيد مديرها.

أما عن القوى العاملة فى المكتبة، فهى تعتبر من العناصر الرئيسية لمقومات العمل المكتبى، وأهم مكونات التنظيم الإدارى بها، حيث تقع على كاهل هؤلاء العاملين ترجمة خطط وبرامج المكتبة إلى أعمال

ملموسة وأفعال محسوسة، وتظهر مساهمتهم الفعالة فى تحقيق أهداف المكتبة.

وتنقسم القوى العاملة فى أية مكتبة إلى فئتين: فئة المؤهلين الحاصلين على درجة جامعية عالية، وفئة غير المؤهلين وهم الكتبة والمساعدون ويشترط أن يكونوا حاصلين على شهادة متوسطة أو فوق المتوسطة، ويقومون بأعمال السكرتارية والأعمال المكتبية المساعدة.

ويبلغ عدد العاملين فى مكتبة المسجد الأقصى - وقت إجراء الدراسة الميدانية - ستة أفراد، وهم موزعون على النحو التالى:

١ - مدير المكتبة (أمين المكتبة) ويحمل مؤهلاً عاليًا، وقد أرسلته المكتبة إلى لندن عام ١٩٨٢ للتدريب على حفظ وصيانة المخطوطات.

٢ - نائب مدير المكتبة (نائب أمين المكتبة) ويحمل مؤهلاً عاليًا، ويقوم بالأعمال الفنية.

٣ - كاتبان: وكل منهما يحمل مؤهلا فوق المتوسط، ويقومان بالأعمال الكتابية والتسجيل، وقد لاحظ الباحث أنهما يقومان أيضًا ببعض الأعمال الفنية كالفهرسة والتصنيف.

٤ - مراسلان: ويحمل كل منهما مؤهلا متوسطا، يقومان بتوصيل المكاتبات والمراسلات من وإلى المكتبة والجهات التى تتعامل معها المكتبة، وقد لاحظ الباحث أنهما يقومان أيضًا ببعض الأعمال الكتابية والتسجيل.

ولاشـك أن هـذا العدد غير كاف، وخاصة فـى مرحلة إعادة تنظيم وتسـجيل مقتنيات المكتبـة، والتى بدأتها المكتبة عـام ١٩٩٨، حيث تحتـاج الأعمال المكتبة إلى ضعـف هذه الأعداد وخاصـة من المؤهلين فى مجال المكتبات للقيام بالأعمال الفنية كالفهرسـة والتصنيف، وهذا ما أشار إليه السيد مدير المكتبة.

٣/ ٤ الأعمال الفنية فى المكتبة:

يُقصد بها هنا عمليتا الفهرسة والتصنيف، حيث تتبع المكتبة نظام تصنيف ديوى العشـرى، الطبعة العربية المعدلـة التى قام بتعديلها المرحـوم الدكتور السـيد محمود الشـنيطى والدكتـور أحمد كابش، ويشـير إلى ذلك مدير المكتبة بقوله: إنه فى عام ١٩٧٦ تسـلم المكتبة أكوامًـا من الكتب دون تسـجيل أو تصنيف، فقـام بفرزها وتصنيفها وفهرسـتها، وأنشأ فهرسًا قاموسـيًا، ولم تكتمل طباعة بطاقات هذا الفهرس، حيث يوجد بعضها بخط اليد؛ وكان يساعده فى ذلك السيد نائب مدير المكتبة.

ولاحظ الباحث أن هناك كتبا ليست قليلة أضيفت إلى المكتبة خلال هذه السنوات غير مفهرسة أو مصنفة وخاصة الكتب الأجنبية، وهنا أفاد السـيد مدير المكتبة بأن المكتبة فى سبيل إعادة فهرسة وتصنيف وتسـجيل مجموعات من الكتب العربية والأجنبيـة بطريقة حديثة وبأسـلوب تسجيل حديث فى سـجلات جديدة لأن السجلات القديمة لا مثل الواقع بصورة صحيحة ١٠٠٪.

أمـا قواعد الفهرسـة التى تتبعهـا المكتبة فهى القواعـد التى قام بإعدادها كل من المرحوم الدكتور السـيد محمود الشـنيطى والأسـتاذ محمـد المهـدى ولا توجـد قائمـة رءوس موضوعات مقننـة تتبعها المكتبـة فى صياغة رءوس الموضوعات، ولكن تتم هذه العملية بطريقة اجتهادية غير مقننة.

الخدمة المكتبية والمستفيدون من المكتبة:

إن الغايـة المباشـرة التى تنشـأ من أجلها المكتبـات، هى أن تقدم للمسـتفيدين مـا يحتاجون إليه مـن معلومات، فالمسـتفيد هو قطب الرحى، به تبتدئ دورة المعلومات وإليه تنتهى.

وانطلاقًا مـن هذا المفهوم أخذت المكتبات علـى عاتقها مهمة تلبية احتياجات المسـتفيدين من المعلومات، ويعتبـر تقديم هذه الخدمة من الوظائف الحيوية والأساسية لأية مكتبة، ويتوقف فاعليتها على مدى نجاح المكتبة فى تلبية احتياجات المستفيدين.

والخدمات المكتبية وإن تنوعت عددًا وتباينت شكلاً، إلا أنها تندرج تحت فئتين رئيسـيتين هما: الخدمات التقليدية وتعتمد على الأدوات والطـرق اليدوية فـى البحث عـن المعلومات وتقديمها للمسـتفيدين، والخدمـات غير التقليدية وتعتمد على النظم الآلية فى البحث عن هذه المعلومات وتقديمها للمستفيدين.

كذلـك فالمسـتفيدون وإن زادوا عـددًا وتباينـت اهتماماتهم نوعًا، إلا أنهـم ينضـوون تحت فئتين متميزتـين هما: المسـتفيد العام الذى

يبحث عن المعلومات للاستزادة منها وتوسيع دائرة معارفه، والمستفيد المتخصص الدارس الباحث عن المعلومات ليشبع عناصر موضوع بحثه.

ومـن خلال الدراسـة الميدانية - لهذا العنصر بشـقيه المسـتفيدين والخدمات - فى مكتبة المسـجد الأقصى تبين أن المكتبة تخدم المجتمع المحلـى فى الأرض المحتلة وخاصة فـى مدينة القدس، وكل المهتمين والمتخصصـين فى الدراسـات الإسـلامية بجميع فروعهـا الموضوعية، بالإضافة إلى طلبة المدارس والجامعات.

وقد بلغ متوسـط عدد المترددين على المكتبة(٢٤٦)(*) مسـتفيدًا فى الشـهر الواحد، وهذا العدد قديزيد أو ينقص حسب الظروف والقوانين التـى تفرضها قـوات الاحتلال الإسـرائيلى على تقييـد حركة أفراد الشـعب الفلسـطينى فى مدينة القدس من حيث غلق المناطق أو السماح بدخولها.

أمـا عن الخدمات التى تقدمهـا المكتبة لهؤلاء المسـتفيدين فتتركز حول الخدمات التقليدية فقـط، وتتمثل فى خدمتين منها هما: خدمة الاطـلاع الداخلى حيث لا يوجد بالمكتبة نظام اسـتعارة خارجية، فلا يُسـمح بإخراج الكتب خارج المكتبة لندرتها من جهة والخوف عليها من الضياع والتلف من جهة أخرى، لذا يُسـمح باسـتعمال الكتب فقط

(*) سجل الزائرين للمكتبة، ولا يوجد تحديد لنوعية كل مستفيد مما أدى إلى غياب الدراسة التحليلية لفئاتهم.

داخل المكتبة، ويقدم المسئولون بالمكتبة كافة التوجيهات والإرشادات القرائية وخدمة الاطلاع الداخلى فى حدود الإمكانات المتاحة بالمكتبة.

والخدمة التقليدية الأخرى التى تقدمها المكتبة لروادها هى «الخدمة المرجعية» ويقوم بها مدير المكتبة أو نائبه لمن يحتاج إليها من المستفيدين، حيث يوجهونهم إلى المراجع التى بها الإجابة عن أسئلتهم واستفساراتهم.

أما عن ساعات دوام المكتبة فتبدأ من الساعة الثامنة صباحًا وحتى الثانية بعد الظهر فى الوقت الحالى (أثناء إجراء الدراسة الميدانية) حيث الظروف القاسية التى تمر بها مدينة القدس، وكانت المكتبة - قبل هذه الظروف - تفتح أبوابها للمستفيدين من الساعة الثامنة صباحًا وحتى الساعة السادسة مساء.

هذه صورة تكاد تكون شاملة - بما سمحت به المعلومات والبيانات - عن مكتبة المسجد الأقصى، استهدفت استبصار الوضع الراهن للمكتبة، فى محاولة تشخيص المشكلات التى تعانى منها سواء أكانت مادية أم بشرية، من أجل العمل على حلها، باستثارة اهتمام المسئولين عنها فى دائرة الأوقاف والمقدسات الإسلامية وهى الهيئة الإدارية التابعة لها المكتبة، كل ذلك فى سبيل المحافظة على هذه المنارة التليدة ذات الإشعاع العلمى، والتى كانت وستظل مرآة عاكسة لشموخ الحضارة الإسلامية وعظمتها فى هذه البقعة المباركة طوال مسيرتها التاريخية.

خاتمة الدراسة

الحضارة العربية الإسلامية المتنوعة والمليئة بمختلف التيارات الفكرية، والخصبة بظواهرها التى امتدت فى عالم واسع جدا كانت إحدى الحضارات الإنسانية التى سادت خلال قرون عديدة من الزمن.

هـذه الحضارة التـى تعددت أصول نشـأتها وتكاثـرت مصادرها، اعتبرت الكتـاب هاديا لها وكنزا ثمينا، فاعتمـدت عليه واهتمت به شـكلا ومضمونا وحفظا، بشـكل فاق كل الحضارات السابقة. وكان من مظاهر هذا الاهتمام إنشـاء المكتبات - بكل أنواعها - باعتبارها المؤئل الأول الذى تئول إليه الكتب وتسكن فى جنباته.

ولقد تعددت عواصم الحضارة الإسـلامية ومراكزها، وكانت مدينة القـدس طليعة هـذه العواصـم ومن أهـم مراكزها، على مـدى عصور متطاولة، منذ انبلاج نور الإسـلام فيها حتى نهايات العهد العثمانى، تعاقـب عليهـا العلمـاء والفقهاء والمدرسـون من كل صـوب وحدب، وتقاطروا إليها من الشرق والغرب، ابتداء من عهد صحابة رسول الله ﷺ ومن تلاهم من كبار التابعين وحتى عصرنا هذا.

وكان المسـجد الأقصى الذى بارك الله تعالى حوله موئلاً للعلم وأول معهـد فى بيت المقدس تجمَـع فيه العلماء والمتعلمـون من تلامذتهم،

فى حلقات لدراسة الفقه والتفسير والحديث واللغة والشعر وغيرها من علوم الدين والدنيا، ومن ثّم كان المسجد الأقصى جامعة إسلامية - إذا جاز لنا أن نطلق اسم جامعة على المسجد التعليمى - فقد كان عماد الحركة الفكرية آنذاك، وكانت له رسالة علمية، قام بها وأداها حقًا على خير وجه، ولا غرو فى ذلك فقد كان الأقصى يمثل مظهرًا حضاريًا وفكريًا، ويمثل - فى نفس الوقت - مظهرًا من مظاهر التمدن الإسلامى، ويقوم بدروه فى دراسة التراث الإسلامى والحفاظ عليه، وبهذا كان له أثر كبير فى خدمة الثقافة الإسلامية ورعايتها.

وكان قمينًا «جَديرًا» بان يكون لهذا المعهد وتلك الجامعة الإسلامية مكتبة يرجع إليه المدرسون من العلماء، ويعتمد عليها الدارسون من الطلاب فى التحصيل والاستزادة من المعلومات، وعلى مدى الحقب المتعاقبة، ضمت مكتبة المسجد الأقصى أعدادًا ضخمة من أمهات الكتب ونفائس المخطوطات فى مختلف فروع المعرفة.

من هذا المنطلق كانت هذه الدراسة التى اتخذتُ من مكتبة المسجد الأقصى المبارك موضوعًا لها، سواء فى نشأتها الأولى (ماضيها) أم فى وضعها الراهن فى عصرنا الحالى.

وعالجت الدراسة بصورة مركزة ثلاثة مباحث أساسية تمثل أركان البحث كله، وفى الوقت ذاته تنسجم هذه المباحث الثلاثة مع الأهداف الموضوعة سلفًا، كما أنها تمثل كلا متكاملاً لا ينفصم عراه، وعلى ذلك

جاء المبحث الأول بعنوان «الحركة العلمية والثقافية فى القدس» ليمثل مدخلاً لدراسة الموضوع، لذا تتضمن عنصرين رئيسيين أولهما لمحة جغرافية وتاريخية عن القدس لبيان مكان الموضوع وتاريخه، وثانيهما الحياة العلمية والثقافية فى القدس باعتبار هذه الحياة هى الأرضية التى تنشأ عليها ولها وبسببها المكتبات، تتغذى بإنتاجها وتتفاعل معها وتتأثر بها وتؤثر فيها. وعالج المبحث الثانى النشأة والتطور التاريخى لمكتبة المسجد الأقصى، موضوع الدراسة وبؤرة الاهتمام، محاولاً تلمس النشأة الأولى لهذه المكتبة فى عمقها التاريخى البعيد، ومسايرًا مراحل تطورها حتى عصرنا الحالى وأخيرًا تعرض المبحث الثالث بالدراسة والتحليل للوضع الراهن لمكتبة المسجد الأقصى، محاولاً إعطاء صورة واقعية لهذه المكتبة، وكاشفًا عما تئن منه فى ظرفها الراهن.

وحاولت واجتهدت فى دراسة الموضوع لاستيفاء حقه من الدراسة والبحث، وإشباع عناصره بالبيانات والمعلومات، فى ظل الظروف القاسية التى تمر بها المكتبة مما أثر على شح المصادر وندرة المعلومات عنها، ولكنى بذلت ما أطيق، فإن أصبت فى تحقيق الأهداف التى ترمى إليها الدراسة فهذا من توفيق الله وعونه وفضله، وإن كانت الأخرى فهو جهد المقل، لذا أرجو من السادة الأساتذة الأفاضل أن ينبهونى عما فى هذا البحث من قصور حتى أعالجه فيما بعد بإذن الله والله ولى التوفيق وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

نتائج الدراسة

أسفرت دراسة الموضوع عن مجموعة من النتائج وأخرى من التوصيات أسجلها على النحو التالى:

أولاً: النتائج:

١ - أثبتت الدراسة عروبة القدس تاريخيًا منذ نشأتها من حوالى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، وإسلاميتها منذ نحو أربعة عشر قرنًا.

٢ - رصدت الدراسة أوضاع الحياة العلمية والثقافية فى القدس، ومدى ازدهارهـا فى فترات وخبوها وفتورها فى فترات أخرى، وارتباط هذه الظاهرة بالأوضاع السياسـية والاقتصاديـة التى تعاقبت على القدس خلال تاريخها الطويل.

٣ - كشفت الدراسة عن مدى عراقة مكتبة المسجد الأقصى حيث ترجع البواكير الأولى لنشأتها منذ نحو أربعة عشر قرنًا تقريبًا.

٤ - رصدت الدراسـة مدى تأثيـر الأوضاع العلمية والثقافية فى القدس على مكتبة المسجد الأقصى خلال الفترات التاريخية المتعاقبة.

٥ - كشـفت الدراسـة عن مدى اهتمام الحكام المسـلمين - وخاصة فى العصرين الأيوبى والمملوكى - بالمكتبة وإمدادها بالمصاحف والكتب ووقف الأوقاف عليها.

٦ - رصدت الدراسة مدى المعاناة التى تعانيها المكتبة فى وضعها الراهن والتى تمثل فى:

(أ) عدم ملاءمة المبنى الحالى للمكتبة من حيث الأثاث والتجهيزات والإضاءة والتهوية.

(ب) القصور الواضح فى تسجيل مقتنيات المكتبة فى سجلات حديثة.

(جـ) عدم العناية بمجموعات المقتنيات من الكتب والدوريات والمخطوطات، بالرغم من تراثية هذه المجموعات والتى تحتاج إلى تجليد وتصوير وترميم.

(د) ضعف الأعمال الفنية فى المكتبة وخاصة عمليتى الفهرسة والتصنيف.

(هـ) نقص عدد الموظفين المؤهلين فى المكتبة.

(و) عدم وجود ميزانية مخصصة للمكتبة.

ثانيًا: التوصيات:

فى ضوء النتائج السابقة توصى الدراسة بمايلى:

١ - حث المسئولين عن المكتبة بإيجاد مبنى آخر للمكتبة أو على أقل تقدير تجديد مبناها الحالى.

٢ - ضرورة الاهتمام بأثاث المكتبة وتجديده وفق المواصفات الدولية، لمواكبة التطورات الحديثة وتهيئة الجو المناسب للرواد.

٣ - نظرًا لأهمية الكتب المقتناة فى المكتبة - وتميزها بالندرة والتراثية - كمصدر أساسى ورئيسى من مصادر المعلومات، وحتى يمكن الحفاظ عليها توصي الدراسة بما يلى:

(أ) الاهتمام بتجليد مجموعات هذه الكتب وترميم ما يحتاج منها إلى ترميم.

(ب) سرعة تسجيل هذه المجموعات فى سجلات حديثة.

(جـ) العمل على فهرسة وتصنيف هذه المجموعات وإنشاء الفهارس اللازمة لها.

(د) العمل على تزويد المكتبة بالكتب الجديدة أولاً بأول من السوق ا لمحلى والخارجى لتنمية مجموعات المكتبة وذلك وفق سياسة مكتوبة.

(هـ) العمل على شراء المكتبات القديمة وخاصة مكتبات الأفراد بالقدس وضمها إلى المكتبة.

٤ - نظرًا لأهمية الدوريات (الصحف والمجلات) كمصدر من مصادر المعلومات المتميزة، وحتى يمكن الحفاظ عليها توصى الدراسة بما يلى:

(أ) تجليد مجموعات الدوريات بصورة فنية.

(ب) تكملة الأعداد الناقصة منها سواء عن طريق شرائها أم تصويرها.

(جـ) حفظها فى مكان مناسب تتم فيه مقاومة الرطوبة عن طريق توفير الأجهزة المساعدة لذلك.

(د) إيجاد أرفف خاصة للدوريات.

(هـ) تسجيلها فى سجلات حديثة.

٥ - نظرًا لأهمية المخطوطات باعتبارها مصدرًا نادرًا لا يقدر بثمن، وحتى يمكن الحفاظ عليها توصى الدراسة بما يلى:

(أ) شراء الأجهزة الضرورية لترميم هذه المخطوطات وتصويرها وصيانتها.

(ب) استخدام أجهزة التكييف والتبخير لحفظ هذه المخطوطات فى جو مناسب ولتخفيف عاديات الزمن وآثار الجو عليها.

(جـ) العمل على تكملة إصدار فهارس للمخطوطات الموجودة بالمكتبة للتعريف بها والإعلام عنها بطريقة علمية سليمة.

٦ - العمل على زيادة عدد الموظفين بالمكتبة وذلك بتعيين الأشخاص المؤهلين والمتخصصين فى مجال المكتبات للقيام بالأعمال الفنية فى المكتبة (فى حدود خمسة أفراد على الأقل).

٧ - تخصيص ميزانية سنوية مناسبة للمكتبة لاستخدامها كأداة لتيسيير دولاب العمل بها.

هوامش الدراسة ومصادرهما

١ - للاستزادة راجع:

(أ) مجمع البحوث الإسلامية. بيت المقدس فى الإسلام، تقديم عبد الحليم محمود - القاهرة: المجمع، ١٩٦٩. ص ٤٩ - ٥١.

(ب) القدس فى التاريخ/ تحرير وترجمة كامل جميل العسلى - عمان (الأردن): الجامعة الأردنية، ١٩٩٢. ص ٢٥ - ٣٣.

(جـ) عارف العارف. المفصل فى تاريخ القدس - القدس: مكتبة الأندلس ١٩٦١. ص ١١ - ١٤.

٢ - عفيف عبد الرحمن. القدس ومكانتها لدى المسلمين وانعكاس ذلك من خلال كتب التراث، بحيث قدم إلى المؤتمر الدولى الثالث لتاريخ بلاد الشام وفلسطين فى الفترة ما بين ١٩ - ٢٤ نيسان (أبريل) ١٩٨٠ - عمان: الجامعة الأردنية، ١٩٨٠، ص ٢٢٥.

٣ - أحمد سوسة. العرب واليهود فى التاريخ - ط ٢ - دمشق: مطبعة الاعتدال ١٩٧٨. ص ٣٩٤.

٤ - نشأت الخطيب. القدس بين الدين والتاريح - بيروت: دار الأنيس ١٩٨٧. ص ٢٦ - ٢٧.

٥ - موسى الحسينى. عروبة بيت المقدس - بيروت: مركز الأبحاث ١٩٨٥. ص ١٨.

٦ - إبراهيم الدقاق. القدس: المدينة والمعاش، بحث قدم إلى الندوة الثالثة «يوم القدس»، ١٠ - ١٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩٢ - عمان (الأردن): لجنة يوم القدس ١٩٩٣. ص ١٨١ - ١٨٢.

٧ - حول تاريخ القدس القديم راجع:

(أ) مجير الدين الحنبلي، أبو اليمن. الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل - عمان (الأردن): مكتبة المحتسب ١٩٧٣. جـ ١، ص ٧ - ١٠.

(ب) محمد عزة دروزه. تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم - القاهرة: مطابع شركة الإعلانات الشرقية، د. ت. جـ ٢، ص ٢٠٠ - ٢٠٣.

(جـ) رؤوف شلبي. عودة القدس الشريف - قطر: جامعة قطر، ١٩٨٥. ص ٥٣ - ٥٦ (محاضرات القيت في الموسم الثقافي العاشر ١٩٨٥).

٨ - موسى الحسيني. مرجع سابق، ص ٢٢.

٩ - أحمد صدقي الدجاني. القدس وفلسطين في التاريخ، في كتاب: القدس بين الأمس واليوم - الدوحة: سفارة دولة فلسطين في قطر ١٩٩٦. ص ٣٤.

١٠ - «القدس مدينة السلام» مجلة الفيصل، س ٢، ع ٢١ (ربيع الأول ١٣٩٩هـ/ فبراير ١٩٧٩) ص ٤٠.

١١ - الحسن بن طلال. القدس: دراسة قانونية - عمان (الأردن): لونغمان، ١٩٨٠. ص ٨.

١٢ - أحمد صدقي الدجاني. مرجع سابق، ص ٣٦.

(ينسب إلى داود سفر المزامير، وفيه مائة وخمسون مزمورًا، وهي أناشيد استغاثة واستغفار وتمجيد وتقديس وتسبيح رائعة الأسلوب والمعنى، تدل على ما كان يعتمل في نفس داود من اخلاص واتجاه نحو ربه وشعور بعظمته وربوبيته وسمو صفاته وفضائله، انظر: محمد عزة دروزه. مرجع سابق، ص ٢٠٢ - ٢٠٣.

١٣ - «القدس مدينة السلام» مرجع سابق، ص ٤١ - ٤٣.

١٤ - رؤوف شلبى. مرجع سابق، ص ٦٣.

١٥ - أحمد صدقى الدجانى. مرجع سابق، ص ٣٧.

١٦ - فيليب حتى. تاريخ سوريا وفلسطين ولبنان - بيروت: دار الثقافة، ١٩٥٨، جـ ١، ص ٢٥٠ وما بعدها.

١٧ - رؤوف شلبى. مرجع سابق، ص ٦٨.

١٨ - الحسن بن طلال. مرجع سابق، ص ٨ - ٩.

١٩ - نقــلا عن: كتن، هنرى. فلســطين فــى ضوء الحق والعدل - عمــان (الأردن): ١٩٧٣. ص ٥.

٢٠ - كامل العسلى. القدس فى تراثنا، بحث قدم فى الندوة الثالثة «يوم القدس»، ١٠ - ١٣ تشــرين الأول (أكتوبر) ١٩٩٢ - عمان (الأردن): لجنة يوم القدس ١٩٣. ص ١٢٥.

٢١ - للمزيد فى الفتح الإسلامى للقدس راجع:

(أ) مجير الدين الحنبلى، أبو اليمن، مصدر سابق، جـ ١، ص ١٩٣ - ١٩٥.

(ب) ابن الأثير. الكامل فى التاريخ - بيروت: دار صادر ١٩٧٩.

(جـ) محمد أديب العامرى. عروبة فلسيطن فى التاريخ - بيروت: المكتبة العصرية ١٩٧٢.

٢٢ - الحسن بن طلال، مرجع سابق، ص ٩.

٢٣ - أحمد صدقى الدجانى. مرجع سابق ص ٤٠.

٢٤ - العمــاد الاصفهانى. الفتح القســى فى الفتح القدســى - القاهرة: د. ن ١٩٦٥، ص ١٤١ - ١٤٢.

٢٥ - مجير الدين الحنبلى أبو ا ليمن. مرجع سابق، جـ ١، ٩٦ - ٩٧.

٢٦ - ابــن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتى. الرحلة - بيروت: دار صادر، ١٩٦٤، ص ٥٥.

٢٧ - عفيف عبد الرحمن. مرجع سابق، ص ٢٥٥.

٢٨ - البــلاذرى، أحمد بن يحيــى. فتوح البلدان، تحقيق رضــوان محمد رضوان - بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٧٧. ص ١٤٧.

٢٩ - المقدسى: شهاب الدين أحمد بن محمد. مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، دراســة وتحقيق أحمد الخطيمي - بيروت: جامعة القديس يوسف، ١٩٨٥، ص ٣٨١.

٣٠ - بنــى قبة الصخرة ســنة ٦٩١م عبد الملــك بن مروان، وهي بناء مــن الحجر مثمن الشــكل، وكان يقصد من بنائها أن يحج الناس إليها بدلاً من مكة التى كانت تحت حكــم منافــس الأمويين عبد الله بن الزبيــر، وتعتبر قبة الصخــرة نموذجًا رائعًا للعمارة الإسلامية، أما المســجد الأقصى فبنى بعد المسجد الحرام بأربعين سنة كما جاء فى الحديث الشريف، وقد جُدد أكثر من مرة، وممن جددوه عبد الملك بن مروان (انظر: الموســوعة العربية الميسرة/ إشراف محمد شفيق غربال. القاهرة: دار القلم مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ١٩٦٤ الصفحات ١٣٦٧ - ١٣٦٨ - ١٦٩٦).

٣١ - لمعرفة المزيد انظر:

(أ) العسقلانى، أحمد بن حجر: تهذيب التهذيب، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف - بيروت: دار المعرفة، ١٩٧٥. جـ ١٢، ص ١٨٤.

(ب) ابن عســاكر، على بن الحسن. تاريخ دمشق الكبير، تحقيق صلاح الدين المنجــد - دمشــق: المجمع العلمــى العربــى، ١٩٥١ - ١٩٥٤، جـ ٢، ص ٥٠.

٣٢ - ملكــة أبيض. التربية والثقافة العربية فى الشــام والجزيرة - بيروت: دار العلم للملايين ١٩٨٠. ص ٨٢.

٣٣ - مجير الدين الحنبلى، أبو اليمن. مصدر سابق، جـ ١، ٢٩٦ - ٢٩٧.
٣٤ - نفس المصدر والصفحة.
٣٥ - المقدسى، محمد بن أحمد البشارى. أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم - ليدن. دار أبريل ١٩٠٦، ص ١٦٧.
٣٦ - ملكة أبيض. مرجع سابق ص ٤٣٩.
٣٧ - ابن أبى أصبيعة، أحمد بن القاسم. عيون الأنباء فى طبقات الأطباء - مصر: المطبعة الوهبية ١٨٨٢. جـ ٢، ض ٨٧.
٣٨ - ناصر خسرو. سفر نامة، ترجمة: يحيى الخشاب - القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٥ ص ٢١.
٣٩ - ابن العماد عبد الحى الحنبلى، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب - القاهرة : مكتبة القدس ١٣٥٠ - ١٣٥١ هـ. جـ ٣، ص ٨٣.
٤٠ - كامل جميل العسلى. معاهد العلم فى بيت المقدس - عمان: مطبعة جمعية عمال المطابع التعاونية ١٩٨١، ص ٢٩ - ٣٠.
٤١ - ابن العربى أبو بكر. قانون التأويل، تحقيق إحسان عباس مجلة الأبحاث، مج ٢١، ع ٢، ٣ (كانون أول/ ديسمبر ١٩٦٨) ص ٨٤.
٤٢ - أبو الفدا، اسماعيل بن على الإيوبى. المختصر فى أخبار البشر - القاهرة: المطبعة الحسينية، ١٣٢٥هـ. جـ ٣، ص ٨٣.
٤٣ - يوسف العش. دور الكتب العربية العامة وشبه العامة لبلاد العراق والشام ومصر فى العصر الوسيط، ترجمة عن الفرنسية نزار أباظة ومحمد صباغ - ط ١ - بيروت: دار الفكر المعاصر ١٩٩١. ص ١٥٢.
٤٤ - للاستزادة راجع: ملكة أبيض. مرجع سابق، ص ٢٩٣ - ٢٩٦.
٤٥ - مجير الدين الحنبلى، أبو اليمن. مصدر سابق، جـ ١، ص ٣٣٩.
٤٦ - العماد الاصفطهانى. مصدر سابق، ص ٨٦.

٤٧ – مجير الدين الحنبلى، أبو اليمن. مصدر سابق، جـ ١، ص ٧٠.
٤٨ – السبكى، عبد الوهاب بن على. طبقات الشافعية الكبرى – القاهرة، ١٣٢٣هـ. جـ ٤، ص ٣٢٩.
٤٩ – ابن خلكان، أحمد بن محمد. وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس – القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٢٧٥ هـ. جـ ٣، ص ٢٥١.
٥٠ – مجير الدين الحنبلى، أبو اليمن. مصدر سابق، جـ ١، ص ٧٠.
٥١ – المقريزى، تقى الدين أحمد بن على. السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة – القاهرة: مطبعة بولاق ١٣٧٥ هـ. جـ ١، ص ٢٥٨.
٥٢ – سعيد عبد الفتاح عاشور. الأيوبيون والمماليك فى مصر والشام – طبعة جديدة مزيدة ومعدلة – القاهرة: دار النهضة العربية ١٩٩٨. ص ٣٢٢.
٥٣ – مجير الدين الحنبلى، أبو اليمن. مرجع سابق، الجزء الثانى.
٥٤ – المقريزى، تقى الدين أحمد بن على. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار – القاهرة ك مطبعة بولاق، ١٢٧٠ هـ. جـ ٣، ص ٣١٤.
٥٥ – سعيد عبد الفتاح عاشور. مرجع سابق، ص ١٤١.
٥٦ – جورجى زيدان. تاريخ آداب اللغة العربية – مصر: دار الهلال، د. ت. جـ ٣، ص ٥٥ – ٥٦.
٥٧ – البلوى، خالد بن عيسى. تاج المفرق فى تحلية علماء المشرق، تحقيق الحسن السائح – المغرب: اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامى، د. ت. جـ ١، ص ٢٥٦ – ٢٧٠.
٥٨ – جمع المرحوم كامل جميل العسلى هذه الكتب وبلغ عددها نحو (٥٠) كتابًا فى كتابه المرسوم «مخطوطات فضائل بيت المقدس» ونشرته فى عمان بالأردن دار البشير عام ١٩٨١ وصدرت منه الطبعة الثانية عام ١٩٨٤ فى ١٤٢ صفحة.

وانظـر أيضًا: البحـث المتميز الذى أعـده محمود إبراهيم بعنـوان: فضائل بيت المقدس فى مخطوطات عربية قديمة (دراسـة تحليلية ونصوص مختارة محققة) ونشر معهد المخطوطات العربية بالكويت طبعته الثانية عام ١٩٨٥، فقد جرد كتب الفضائل وحررها من الإسرائيليات.

٥٩ – انظـر التفصيـلات الوافية عن الكتب التى كانت تـدرس فى هذه الفترة فى: عبدالجليـل عبد المهدى. المدارس فى بيت المقـدس – عمان (الأردن): مكتبة الأقصى ١٩٨١. ص ١٢ – ١١١.

٦٠ – كامل جميل العسـلى. من آثارنا فى بيت المقـدس – عمان (الأردن): مطبعة جمعية عمال المطابع التعاونية ١٩٨٢. ص ٣٧، وأيضًا:

– محمـد ابشـيرلى: ترميم آثار القدس فى الفتـرة العثمانية، بحث قدم فى النـدوة الرابعة «يوم القدس» ٢ – ٥ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩٣ – عمان (الأردن): لجنة يوم القدس، ١٩٩٤. ص ٧٧.

٦١ – حسـين بن عبد اللطيف الحسينى. تراجم أهل القدس فى القرن الثانى عشر، تحقيق سلامة صالح النعمان – عمان (الأردن) ١٩٨٥.

٦٢ – كامل جميل العسـلى. معاهد العلم فى بيت المقدس، مرجع سـابق، ص ٢٨٦ – ٢٩٣.

٦٣ – المقـرى، أحمد بن محمـد. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب – القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٢٧٩ هـ. جـ ١، ص ٣٣.

٦٤ – أحمد سـامح الخالدى. مدارس بيت المقـدس ومعاهدها، مجلة الأديب عدد إبريل ١٩٤٩. ص ٣٤.

٦٥ – كامل جميل العسلى. معاهد العلم فى بيت المقدس.. مرجع سابق، ص ٤٣.

٦٦ – نفس المرجع والصفحة.

٦٧ - نفس المرجع، ص ١٨٤.
٦٨ - انظر الدراسة التحليلية لهذا الفهرس تحت المبحث الثالث من هذه الدراسة (مقتنيات مكتبة المسجد الأقصى).
٦٩ - محسن محمد صالح. التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد ١٩١٧ - ١٩٤٨ - الكويت: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع ١٩٨٩. ص ٨٩.
٧٠ - إبراهيم رضوان الجندى. سياسة الانتداب البريطاني الاقتصادية في فلسطين - عمان (الأردن): منشورات دار الكرمل، ١٩٨٦. ص ٢١.
٧١ - عدوية العلمي. تعليم البنات في القدس، بحث قدم إلى الندوة الخامسة «يوم القدس» ٩ - ١٢ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩٤ - عمان (الأردن): لجنة يوم القدس ١٩٩٥. ص ٣٩ - ٤٦.
٧٢ - حسن الكومي. التعليم في فلسطين، بحث قدم إلى الندوة الخامسة «يوم القدس» ٩ - ١٢ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩٤. عمان (الأردن): لجنة يوم القدس ١٩٩٥. ص ٣١.
٧٣ - نفس المرجع، ص ٣٢.
٧٤ - عدوية العلمي. مرجع سابق، ص ٣٩.
٧٥ - عبد القادر يوسف. تعليم الفلسطينيين: ماضيًا وحاضرًا ومستقبلاً - عمان (الأردن): دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ١٩٨٩، ص ٤٤ - ٤٥.
٧٦ - عدوية العلمي. مرجع سابق، ص ٤٧.
٧٧ - عارف العارف. مرجع سابق، ص ٤٤٤ - ٤٤٦.
٧٨ - كمال الخالدى. الأرض في الفكر الاجتماعي الصهيوني - دمشق: الاتحاد العام للكُتّاب والصحفيين الفلسطينيين ١٩٨٢. ص ٨٦.
٧٩ - سفيان كمال. الوضع التعليمي في مدينة القدس - عمان (الأردن): منشورات وزارة الإعلام ١٩٩٦. ص ٨٠.

٨٠ – سـفيان كمال وسليم الزغبى. احتياجات القدس عام ٢٠٠٠ فى مجال التربية والتعليم – عمان (الأردن) منشورات وزارة الإعلام ١٩٩٦. ص ٢٦ –٢٧.
٨١ – سفيان كمال. الوضع التعليمى فى مدينة القدس، مرجع سابق، ص ٨٢.
٨٢ – محمـد الشـاذلى الخولـى. دور المسـاجد التاريخـى فى التثقيـف العلمى – القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٦١. ص ٧.
٨٣ – دى بور، د. ت. تاريخ الفلسـفة فى الإسـلام تعريب محمد عبد الهادى أبو ريدة – ط ٤. القاهرة – لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٧. ص ٤١٧.
٨٤ – فيليـب دى طرازى. خزائن الكتب العربية فـى الخافقين، بيروت: د. ت. مج ١، ص ٢٩٥.
٨٥ – مصطفى الدباغ. بلادنا فلسطين – بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٦. جـ ٧، القسم الثانى، ص ٢٤٨.
٨٦ – فيليب دى طرازى. مرجع سابق، مج ١، ص ٢٩٦.
٨٧ – محمـود علـى عطالله. فهرس مخطوطات المكتبـة الأحمدية فى عكا – عمان (الأردن): مجمع اللغة العربية الأردنى، ١٩٨٣. المقدمة.
٨٨ – صلاح الدين موسـى التميمى. المسـجد الإبراهيمى: دراسـة وثائقية مصورة – القدس: إدارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية ١٩٨٣. ص ١١٣.
٨٩ – محمـود على عطالله: فهرس مخطوطات مكتبـة الحرم الإبراهيمى – عمان (الأردن): مجمع اللغة العربية الأردنى ١٩٨٣. المقدمة.
٩٠ – محمـود علـى عطالله: فهـرس مخطوطات المكتبة الإسـلامية بيافا – عمان (الأردن): مجمع اللغة العربى الأردنى ١٩٨٤. ص ٣ – ٤.
٩١ – محمود على عطالله. فهرس مخطوطات مكتبة مسـجد الحاج نمر النابلسـى – عمان (الأردن): مجمع اللغة العربية الأردنى ١٩٨٣. ص ٧. وأيضًا مصطفى الدباغ. مرجع سابق، جـ ٢، القسم الثانى، ص ٢١٤ – ٢٢٥.
٩٢ – يوسف العش. مرجع سابق ص ٣٣ – ٣٦.

٩٣ – ابـن الفقيه، أحمد بن إبراهيـم الهمذانى. كتاب البلدان. ليدن: دار بريل ١٨٨٥. ص ١٠٠ – ١٠١.
٩٤ – ابن عبد ربه أحمد. العقد الفريد – القاهرة: المطبعة الشرقية ١٨٩٩. جـ ٣، ص ٦١.
٩٥ – فيليب دى طرازى. مرجع سابق جـ ٣، ص ١٠٣.
٩٦ – يوسف العش. مرجع سابق، ص ١٥٢ – ١٥٣.
٩٧ – كامل جميل العسـلى. معاهد العلم فى بيت المقدس، مرجع سـابق ص ٣٧٠ – ٣٧١.
٩٨ – كامل جميل العسـلى، مخطوطات فضائل بيت المقدس، مرجع سابق، ص ٩٥ – ٩٦.
٩٩ – مجير الدين الحنبلى، أبو اليمن. مصدر سابق، جـ ١، ص ٣٣٩.
١٠٠ – عبد الله مخلص. المصحف الشريف. مجلة الفتح، ع ٢٣٧ (يونيه ١٩٣١)، ص ٥٩٠.
١٠١ – يذكر كامل العسـلى أن هذا المصحف لايزال محفوظًا فى المتحف الإسـلامى المجاور للمسـجد الأقصى (انظر: كامل جميل العسـلى. معاهد العلم فى بيت المقدس.. مرجع سابق، ص ٣٧١).
١٠٢ – مجير الدين الحنبلى، أبو اليمن. مصدر سابق، جـ ٢، ص ٩٦.
١٠٣ – عبد الجليل عبد المهدى. الحركة الفكرية فى ظل المسجد الأقصى فى العصرين الأيوبى والمملوكى – عمان (الأردن) مكتبة الأقصى، ١٩٨٠. ص ٢٧٠.
١٠٤ – السخاوى، شمس الدين محمد. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع – القاهرة: مكتبة القدسى، ١٣٥٣ هـ. جـ ٦، ص ٣٠١. وأيضًا.
– على السـيد محمـود. مكتبات القدس فى عصر سـلاطين المماليك – مجلة المكتبات والمعلومات العربية س٤، ع٤ (أكتوبر ١٩٨٤) ص١٤ – ١٥.

١٠٥ - انظـر الوثيقـة فى ملحق الدراسـة ومصدر هذه الوثيقة هـو «كامل جميل العسـلى». وثائق مقدسية تاريخية - عمان: منشـورات الجامعة الأردنية، ١٩٨٩. مج ٣، ص ٨٦.

١٠٦ - كامـل جميل العسـلى. معاهد العلـم فى بيت المقدس. مرجع سـابق، الصفحات ٣٧٧ - ٣٩٨.

١٠٧ - نفس المرجع، ص ٣٧٣.

١٠٨ - نفس المرجع. ص ٣٧٤.

١٠٩ - تم الاعتماد في كتابة هذا المبحث الثالث على عدة مصادر، أذكرها هنا جملة مرة واحدة منعًا للتكرار:

(أ) إجابات أسئلة قائمة المراجعة.

(ب) أحاديث الباحث مع السيد مدير المكتبة والسيد نائبه والتى تمت بتاريخ ٢٩/ ١٢/ ١٩٩٨.

(جـ) زيارة الباحث الميدانية للمكتبة وملاحظاته العمل بالمكتبة على الطبيعة بتاريخ ٢٩/١٢/ ١٩٩٨.

(د) المنشـورات والمكاتبات والتقارير الخاصة بالمكتبة والمحفوظة بأرشيف المكتبة.

(هـ) سجلات المقتنيات (كتب - دوريات - مخطوطات).

(و) فهـرس مخطوطـات مكتبة المسـجد الأقصى والذى أعده السـيد/ خضر إبراهيم سلامة مدير المكتبة ونشر فى جزئين (١٩٨٣).

١١٠ - Kupfer - schmidt, uri. "connections of the Palestinian Ulama with Egypt" in: A. Cohen and G. baer (eds). Egypt and Palestine - New York: Martin's press., 1984. p. 176.

ملحق رقم (١)

قائمة مراجعة لجمع بيانات عن مكتبة المسجد الأقصى

تهدف هذه القائمة إلى جمع أكبر قدر من البيانات والمعلومات الدقيقة عن مكتبة المسجد الأقصى، والتي يمكن أن تساعد الباحث على التعرف إلى هذه المكتبة من حيث تاريخها وتطورها ووضعها الراهن ومتطلباتها واحتياجاتها المستقبلية. وقد تم استيفاء بيانات هذه القائمة عن طريق المقابلات الشخصية للباحث مع المسئولين عن مكتبة المسجد الأقصى السيد مدير المكتبة والسيد نائبه.

أولاً: بيانات عامة:

١ - اسم المكتبة الحالى.

٢ - عنوان المكتبة.

٣ - لمحة تاريخية عن نشأة المكتبة.

٤ - الجهة التابعة لها المكتبة.

٥ - مواعيد عمل المكتبة.

ثانيًا: الموقع والمبنى والتجهيزات:

١ - أين يقع مبنى المكتبة؟

٢ – ما هى عدد قاعات المبنى الذى تشغله المكتبة؟

٣ – كيف تقسم هذه القاعات؟

٤ – هل المبنى معد خصيصًا للمكتبة؟

٥ – هل يمكن التوسع فى مبنى المكتبة: أفقيًا أو رأسيًا؟

٦ – هل سبق للمكتبة أن احتلت موقعًا آخر من قبل؟

٧ – إذا كان الجواب بنعم، فما هى أسباب ترك الموقع السابق؟

٨ – هل توجد منافذ تهوية كافية للمكتبة؟

٩ – هل يدخل الضوء الطبيعى إلى المكتبة بصورة كافية؟

١٠ – هل الإضاءة الصناعية كافية؟

١١ – هل وسائل التبريد والتدفئة متوفرة فى المكتبة؟

١٢ – ما هو عيوب المبنى الحالى؟

١٣ – ما هى الأثاثات الموجودة فى المكتبة؟ وما هو عددها؟ ونوعها؟

- عدد الرفوف.
- عدد المناضد.
- عدد المقاعد.
- عدد أدراج الفهارس.
- عدد مكاتب الموظفين.
- أثاثات أخرى (تذكر).

١٤ - هل توجد أجهزة فى المكتبة؟ وما هى؟ وعددها ونوعها؟

ثالثًا: التنظيم الإدارى والعاملون:

١ - ما هو الهيكل التنظيمى للمكتبة؟

٢ - ما هو عدد العاملين فى المكتبة؟

٣ - ما هى مؤهلات العاملين؟ وما هى مراكزهم الوظيفية؟

٤ - هل التحق العاملون بدورات تدريبية لصقل مهاراتهم المكتبية؟

٥ - اذكر اختصاصات كل من مدير المكتبة ونائبه؟

رابعًا: الميزانية:

١ - هل توجد ميزانية مخصصة للمكتبة؟

٢ - ما هو حجم ميزانية المكتبة خلال السنتين الأخيرتين ٩٦/ ١٩٩٧ - ١٩٩٨/٩٧؟

٣ - هل الميزانية كافية؟

٤ - ما هو توزيع ميزانية المكتبة؟

خامسًا: المقتنيات:

١ - ما هى أنواع المقتنيات الموجودة فى المكتبة حتى عام ١٩٩٨؟

٢ - ما هو العدد الحالى للكتب المسجلة فى سجلات المكتبة؟

- عربى: ....   - أجنبى: ....

٣ - ما هو العدد الحالى للدوريات المسجلة فى سجلات المكتبة؟

- عربى: ....   - أجنبى: ....

٤ - ما هو العدد الحالى للمخطوطات المسجلة فى سجلات المكتبة؟

- عربـى: ....

- أجنبى: ....

٥ - هل توجد مقتنيات أخرى؟ وما هى؟ وما هو عددها؟

٦ - ما هى مصادر مقتنيات المكتبة؟

٧ - هل يتم تجليد وترميم لمقتنيات المكتبة؟

سادسًا: الإعداد الفنى للمقتنيات:

١ - ما هى قواعد الفهرسة الوصفية التى تتبع فى المكتبة؟

٢ - ما هو نظام التصنيف المستخدم فى المكتبة؟

٣ - ما هى قائمة رءوس الموضوعات المستخدمة فى المكتبة؟

٤ - ما هى أنواع الفهارس الموجودة فى المكتبة وأشكالها؟

٥ - ما هى قواعد ترتيب المداخل فى هذه الفهارس؟

سابعًا: الخدمات المكتبية والمستفيدون:

١ - هل تقدم المكتبة خدمة التوجيه والإرشاد؟

٢ - هل تقدم المكتبة خدمة الإطلاع الداخلى؟

٣ - هل يتوفر فى المكتبة خدمة الإعارة الخارجية؟

٤ - هل توجد خدمات أخرى تقدمها المكتبة؟ وما هى؟

٥ - ما هى الفئات المتمتعة بحق استخدام المكتبة؟

٦ - ما هو العدد الإجمالى لرواد المكتبة خلال عام ١٩٩٨؟

ملحق رقم (٢)

صور وثائقية وفوتوغرافية

بسم الله الرحمن الرحيم

العهدة العمرية

وثيقة الأمان والسلام التى أعطاها الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أهالى القدس، والتى عرفت بالعهدة العمرية.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان
أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها
وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من
حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على
دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود
وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن
يخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله
حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل
إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع
الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم
وصلبهم، حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل
فلان، فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية
ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم
شيء حتى يحصد حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله
وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية، شهد
على ذلك خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف
ومعاوية بن أبي سفيان. وكتب وحضر سنة خمس عشرة

المصدر كتاب: القدس بين الأمس واليوم - الدوحة: سفارة دولة فلسطين فى قطر ١٩٩٦. ص ٧.

ج - مكتبـــات :

٦٣. هــذه الوثيقــة خاصة بمكتبات بيت المقدس، وهى توضح أنــه كانت هنالك وظيفة من وظائف الحرم الشريف سنة ١٠٦٠ تعرف باسم «امانة الكتب فى الصخرة المشرفة». وكان الشيخ بشير الخليلى المذكور فى الوثيقة شاعرًا. انظر عنه خلاصة الاثر جـ ١، ص ٤٥٢.

الوثيقـــــة ٦٣

سجل ١٤٣ ص ٥٨ سنة ١٠٦٠	أمانة الكتب في الصخرة المشرفة

(قرر) مولانا وسيدنا العالم الكبير العامل النحرير محرر دقايق التفسير مقرر قواعده احســن تقرير اقضى قضاة الاســلام أولى ولاة كافة الانام معدن العلم والحلم والكلام وارث علوم الانبيا الكرام مميز الحلال عن الحرام ماضي النقض والإبرام شـيخ مشـايخ الإسـلام العالم العامل الفاضل الكامل الفاصل بين الحق والباطل الحاكم الشرعي المولى موسى افندي الموقـع خطــه الكريم اعلا نظيره دام فضله حاملي هذا الكتاب الشـرعي وناقلي ذا الخطاب المرعي هما فخر المدرسـين الكرام مولانا الشـيخ ابراهيم واخيه (كنز المشـتغلين؟) مولانا الشــيخ عبد الرحمن ولدا المرحوم فخر المدرسـين الكرام مولانا الشيخ بشير الشهير نسبه المبارك بابن الخليلي فى وظيفة أمانة الكتب الموضعة بالصخرة المشـرفة سـوية بينهما بما لذلك من المعلوم وقدره فى كل يوم اربعة عثمانية بينهما سـوية عوضا عن والدهما المزبور بحكــم وفاته الى رحمة اللــه تعالى وانحلال ذلك عنه واذن لهما مولانا الحاكم الشــرعي المومى اليه اسـبغ الله مزيد النعم عليه بمباشـرة الوظيفة المزبورة والاستنابة عند الحاجة وقبض المعلوم المعين اعذلاه (تقريرًا) وإذنا صحيحين شرعيين مقبولين شرعًا.

تحريرًا فى اليوم الخامس من صفر الخير لسنة ستين والف.

شهود الحـــال: مصطفى العلمى المزبورون اعلاه

مصدر هذه الوثيقة هو كامل جميل العســلي. وثائق مقدسـية تاريخية.– عمان: منشـورات الجامعة الأردنية. ١٩٨٩. مج٣. ص ٨٦.

المحتويات

اشترك فى سلسلة «اقرأ» تضمن وصولها إليك بانتظام

الاشتراك السنوى :

- داخل جمهورية مصر العربية ٦٠ جنيهًا.
- الدول العربية واتحاد البريد العربى ٨٠ دولارًا أمريكيًا.
- الدول الأجنبية ٩٠ دولارًا أمريكيًا.

تسدد قيمة الاشتراكات مقدمًا نقدًا أو بشيكات بإدارة الاشتراكات بمؤسسة الأهرام بشارع الجلاء - القاهرة.

أو بمجلة أكتوبر ١١١٩ كورنيش النيل - ماسبيرو - القاهرة

رقم الإيداع	٢٠٠٥/١٦١٧١
الترقيم الدولى	ISBN 977-02-6817-8

١/٢٠٠٥/٢٥

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع .)